

ذكرى ابراهيم عبد القادر المازني

بفلم الدكتور بشر فارس

..

أمراد

«الدوان» و «قبض الربيع». فكنيت بمن حوّل القصد من نحو الى نحو، وعلم الجليل ان النظر في الادب فن لا تتبع ودراية لا تعمل. وقد يكون عنوان القلم جرك الى الشدة حتى انك انكرت في كقولك طرفاً مما سمجته في فتوتك. غير انك ظلمت فقيل اللسان، كريم النفس. ومضيت في القصد استاذاً بصيراً حتى ألقت كتابك «بشار بن برد»، فأعرضت عن آراء من سبقك ونظرت بين ابن القرن العشرين، فجلت بغير الفحص مستحذت اذ تزعت غاية الشعر عن الاغراض الدينية وغضبت لجلال الفن وعزة القول. والى هاتين الصفتين ترد اقولك الطريقة في بشار وقد عبت عليه أخذه من تقديمه وجريه على مناجهم، ونددت بسقوط طبيعته البخانة عن لذات الجسد حتى انها قصرت عن مو المعنى وأخلاص السريرة. وثرث على إغراءه في الهجاء مع تعليقه البذاءة في كآبه يحط من قدر الفن، فن الشعر. ولم ترسل حكمك ارسالا وانت تعرف كيف تدبر المظنوم وتصفح الخبر لتستشف روح الشاعر. فما ابرك في

الله ان تكون لسماً فكنيت، فكأنك جئت الى الدنيا على جناح صبا رقت ولانت، ما عبت يوماً الا هفاة ولا دخلت بستاناً الا مستأذنة لا توغل. انت يا اخي من فوجات الروح الزكية، ما عرفتك الا هكذا خمس عشرة سنة، ثم غبت فتلقت أعتاش عنك هفيفاً يحمي خاطر ويحس عن الجبين حر الدنيا فما وجدت. غبت فجاء ولم أضم الى صدري لطف حيك ساعة احتضر ولم استق من قنوة قلبك لحظة الرمي، أنا الصديق الذي لازمك ويوماً يوماً عرف شاك. ودعك وانت تشكو وما كانت الشكاة بمرحة، ثم تركت مصر على ان اجدك عند العودة معافى، الا انك سرعان ما مضيت الى لقاء ربك. ولم يأتي البث الا بعد ثلاثة اشهر في باريس، فيا له من يوم انصهر القلب فيه، ووالله عسى القل في كلمة أسطرها: كان ذحول أخذ على الفكر المسالك، فأجوبت الاعلى التوجع في اثنا، محاضرة هنالك في الادب العربي الحديث.

استخلاص جين بشار وعجزه وتبيين ميسله الى انهاب العيش دون التأمل فيه. قدك يا اخي حقيق بان يحتذى في زمن تكاد مقاييس النطق تضع فيه او تزلق الى ايدي فريق من الكنية القتحمين والمزحلجين.

ولكن النقد الذي مهت فيه ما ارضى قوتك على الانشاء والاختراع، فانتدبت الى القصص. والقصص فن هين، على ما يتوهم الناس، ولكنه على ما فهمته انت، شاق. ككنيت الاقصوصة والقصص ونجحت في كتابتها. فلك «في الطريق» و «ع الماني» ولك «ابراهيم الساسي» و «ثلاثة رجال وامرأة». ثم لك «عود على يد»، وقد تبه الافرنج لقدرتك في هذا الباب وتوقعك، فألقوا في هذا الرسائل ومدحوك.

قد يكتب غيرك القصة وهو يتخيل الحياة فيغرب، واما انت فتتزل الى الحياة التي كنت تحبها حباً فتعصرك وتعصرها.

في هذا الادب لعت لعاناً فريداً. دخلت اليه من باب الشعر المصفي وأخرجت الخليجات وأزوت الخفيات. سكنت صادقاً لا تجري وراء هرج في اللفظ كان دأب معاصريك في الشرق، وكتب اياك لا تغير على تراكيب الاقدمين معارضاً او محاكياً. وذهبت في النظم الحر مع المدرسة الطالعة في مصر وهي تافس مدرسة المهجر، حتى بدا لك انك غير عبيد فأمسكت وانت مشغول بالتمام والاحكام، على انك سرت الهسا في خطوب ثابت منفسح، ولكن الصبر أعوزك فغرمتنا الحطرات الفاحة والمواجس الراهبة.

واضرفت الى النقد، فصنعت على غير مثال عندنا، اذ طلبت المعنى وغيرك كان ينسج بالبنى، واستجليت المغزى ومقاييسك عيون الادب في الشرق وفي الغرب، وعُدتك ذوق مصقول وألعبة نفاذة. فأخرجت اول عهدك فيها اخرجت

* اذيع من محطة الاذاعة المصرية

تلمسك بالواقع بل تشبث به . هل أنسى « ابراهيم الثاني »
ذلك الكتاب الجياش بالحياة التي لا تنسى مندفعها خطمة مذبذبة في
ذهن الكاتب ولا يعوق منفرجها قعود في الخاطر أو تباطؤ في
الآداء ؟ كأنك دونت الحوادث أولا أولا بحروف من مادة
الحقيقة فجاءت مرآة لظهور الذي قبل عليه في مصر ، وربما
دخلنا فيه من حيث لا ندري : عرضت ثلاثة اصناف من النساء
الحديثات تأكلهن العاطفة ، كل واحدة على طريقته .

وهل أنسى كتابك « عود على بدء » ، وفيه فرت من
الواقع الذي تلتزمه في جميع قصصك ؟ جئت بدائرة لطيفة وقد
فعلت ان حركات النفس لا تتبع أبداً تحت الضغط والوزن
والمقايسة والمأرقة فأعرضت عن تخطيط السلك وعن تحريك
الاطلال بمحيطو تنمزها أنامك وترسلها ، ومضيت عن تبين
الحوادث وتبيين الدلائل . بل أجلمت القارئ . مع ابطالك في
صدر الحركة الرجراجة ، فيعلم معهم ويهبط ، ويغني ويصحو
ثم يبتسط ويتقبض ويضطرب ويطمئن وهو في كل ذلك ناشط
لما يتخلل التقلبات من تعليقات هي في الحق حديث النفس فتفس
في تلك الناحية الغامضة التي تتغلل الوعي فتحوّل تيار الوجدان
من مجرى الى مجرى . داووت في هذا الكتاب غشايت وجلا
في جسم طفل وعقل راجحاً في هيكل شليل وشوواً نوادراً في
أعصاب رخوة .

ومن أقدر منك على تلك المداورة وعلى أشباهها في ما
سطرت ، وانت المتصرف في ضروب الانشاء ، نهلت أسرارها من
ينابيع كتاب « الاغاني » خاصة ومن رسائل الجاحظ ، ثم
أسلمتها الى سلاوة وروحك ورهافة خيالك ومناة ثقافتك ،
فترسلت وانددت ، وبين يديك قلم يحده من اللغة بالفردات
المتعددة وبرهفه التلطف لتلك المستلحة . وهو يجري ولا
يتأذى ويسبح ويسبل على غير كدر ولا أسن : يتزل في جد ،
ويدق على بساطة ، ويوشى بغير تصنع ، ثم يهجم على الالفاظ
الجارية على ألسنة الناس في العراقات ، وهي فضيحة من حيث
لا يعلمون ، فيطلفها في سياق العبارة بعبارة ولطافة فيقطعن
الدوق لها ويهتز .

كانت عباراتك تدخل في اسلوب آخر اذا ترجمت ، وكنت
سيد الناقلين من الانجليزية الى العربية . وحسبك « مختارات
من القصص الانجليزية » . فيها ووضت اللغة العربية على نأدية

معان ومحسوسات وصور واستعارات غريبة ، في يابث ناصع
وتركيب سليم ولقظ منخير . مع المحافظة على الروح الاجنبى ،
ولو كنت حورت الكلام غرخته الى نهجنا في التأليف وشرطنا
في التفكير لكنت عطلت طرائف الاصل وزوت دخاله ، لان
جريان الجملة وبضمان المعنى كلاهما رهين بالآداء .

وسهلاً متمناً كان اسلوبك وانت تكتب كل يوم هنا وهنا
في الصحف والمجلات لعامة القراء . وما رأيت قلماً يسرع
اسراع قلحك من دون ان يتردد او يعتثر . وكنت اجلس اليك
صباحاً في صحيفة « البلاغ » أحادثك او أدعبك ، فنصني او
تشارك ودعكت لا يزيغ عن خطه ويدك لا تهجر القرباس ،
كل ذلك وقلحك يتقل من باب الى باب ، من سياسة الى أدب
الى فكاكة الى مكاشفة : فقال دزين في تصرف الدولة او في دفع
الشعر عن فلسطين ، وآخر في مراجعة كتاب ، وثالث كله مزاح
ما جارك فيه غير الجاحظ ، ورابع تأنس فيه الى قارئك فتكشف
له حجاب روحك القنية بأهوائها وألوانها وتدخله الى ساحة
يتسك ظلمه في ظرف فائق على نوادر أهلك . حفظهم الله
وعزائم وعزائنا جميعاً عن فقدك .

ولولا شياخ حفظ الآداب الصرف في هذا البلد ، ولولا
تكاليف الحياة الحاضرة لما قد يصرف النشاط عن تخيير الكتب
الى تسويد الصحف وتسايرك الحس وبوهن اليدين ويسدني
الهلاك لكنت متعتنا بآيات أخر وذهبت تؤنسنا بالحفاث ، وانت
تقطر في كل ذلك عصارة خبرتك ونزاهة طوبىك وصاحبة همتك
وبراعة فطنتك بمزوجة جميعاً برقة حاشيتك ، كما صنعت في آخر
كتاب أخرجه وهو « من الثقافة » حيث تقول : « بعد ان
كنت آخذ الآراء من الكتب او الناس صرت آخذها من الحياة
بلا وساطة وأعرضها على عيني بلا مؤثر ، فاعتدت الاستقلال
في النظر والحرية في التفكير . وصار نظري الى الناس نظراً
الى مادة تدرس فتذهب عن الموضوع الصيغة الشخصية ، فكأني
امتحان غفلة وليست أذن صنع انسان أساء او احسن . »

أجل بلغت آخر ايامك تمام المروءة ، فكنت الاديب الانساني
رحمك الله يا صديقي ، يا أخي ، يا من بين سره وسري جرى
الود المحض .

الفاهرة

بشر فارسى

المازني كما عرفته

بقلم عبد الحميد جوده السامح



أقطن* والاستاذ المازني في حي واحد، فكنت اذا ما خرجت في امسيات الصيف للرياضة، ألمع المازني جالساً امام حلواني البجعة جبدان الطاهر، او امام محل استرا المشرف على كازينو السكاكيني، وهو رقب العائلات [0000] المائدات من محال عظيمين وقفا كن يعدن خاليات الدراع، فشكل واحدة منهن تتأبط شاباً، وقد جرى العرف بينهن على ان تصادق كل منهن شابين، أحدهما يكفل بمصاريف انتقالها من البيت الى محل عملها طوال الاسبوع، والآخر يكفل بمصاريف يوم الاحد، وكنت أقرأ قصص المازني التي ينشرها في «الرواية والرسالة» في ذلك الوقت فلمح بين ابطلها فتيات حي الطاهر [....]

وتقابلت انا والمازني مصادفة وهو في طريقه الى حلواني البجعة فالتقت عيوننا ثم انطلق كل منا الى سيبه، وصرت ايام وتقابلنا مرة اخرى لقاء طارئاً فبداني بالتحية وكان يحني كل من تقع عليه عيناه اكثر من مرة وانظن انه ذكر ذلك فيما كان يكتبه عن نفسه، ومنذ ذلك الوقت اخذنا تبادل التحيات عن بعد، وقد كلفني ذلك شغلاً، أصبحت اخجل من المرور امامه اذا سارت امامي فتاة او اذا سارت الى جواربي فتاة او بمعنى اصح - وامري لله - اذا كنت اطارد فتاة او اسير في رفقة فتاة ولتساغني زوجي فقد كان ذلك في ايام الدراسة قبل ان افكر في الزواج.

ولمحي المازني مرة وانا واقف في الصباح انتظر الترام وكان يقود سيارته المتواضعة التي اضطر في ذلك الوقت الى اقتنائها بسبب ساقه المبهضة التي جعلت من العسير عليه ان يستعمل الترام في تنقله، فما كانت مظهرأ من مظاهر البذخ، فقد كان المازني

* بمناسبة الذكرى الرابعة لوفاته المازني

في ذلك الوقت في شيق، - لان نجارة الادب كانت في بوار - لمحي فيال بسيارة لي ثم سألني عن وجهتي فلما علم انني ذاهب الى مدرسة التجارة العليا، فما كانت كلية بعده حملني معه فقد كان في طريقه الى دار البلاغ ولا يفصل المدرسة عن الدار الا خطوات ومنذ ذلك الوقت اصبحت لي سيارة خاصة تحملني الى الكلية كل صباح.

كنا نتحدث في الطريق وتبادل الآراء، فراغني ان المازني تحدث لبق يستحوذ على سامعه وان حديثه الخفات رائع يستوي النفوس لا يخجل من سخرية لاذعة او فكاهة طريفة فقد كان المازني مبدعاً في كل احاديثه وكتاباته الى الترويع عن النفوس والسخرية من كل شيء حتى من نفسه.

وداوت عجلة الزمن ونخرجت في كلية التجارة والتحقث بعمل من اعمال الحكومة فغير اتجاه سيرتي ولم اعد ارى المازني الا قليلا وان كنت اداوم على قراءة كل ما يكتب في المصنوب والصحف والمجلات.

نشرت بعض اقصيص في المجلات الادبية وكان بعض ادباء الشباب في ذلك الوقت ينشرون بها اقصيص متمسكة دون ان يظهر لاحدهم كتاب واحد بين الكتب الكثيرة التي اخذت تنزوي المكتبة العربية فراودتني فكرة انشاء لجنة تنشر كتب الادباء الذين لم تظهر لهم كتب من قبل وفكّرت في ان اقصر اعراضا على الانتاج الفني واخرجت الفكرة الى الوجود واست لجنة النشر للجامعيين وراحت تصدر قصص الشباب واخذ اسم المازني يتخايل لي، تمنيت ان تصدر له اللجنة كتابا وكان يحكر هذه الامنية ان المازني ليس من الكتابات الشبان ورحت اقنع نفسي ان المازني وان كان كهلا الا انه شاب في كتاباته ولا صلة بينه وبين شبوخ الادب الذين ارتسمت لهم صورة خاصة في نفسي

الا احسبها تسره كثيرأ.واقضمت بهذا الشطرنج ، وعزمت على ان اطلب منه ان يكتب لنا قصة وان يستمر معنا فيما تقدم من انتاج .

لم اجد في نفسي الجرأة ان اذهب اليه احادته في الموضوع فكنت اليه اعرض عليه ان اللبنة يسرها ان تنشر له قصة ، وان تدفع له كل ما نخبه من ارباحها فهي لا تطمع إلا في ان تصدر كتابا للماضي ، وتلقيت منه رسالة رفيقة بدعوتي فيها لمقابلته ، فذهبت اليه خافق القلب فقد كنت مقبلا على امر خطير . قابلني مرحبا ، وقادني الى مكتبه ، فاذا بالكاتب تنطلي المكتب والمقاعد والجدران ، وازاح بعض الكتب ليفتح لي مكانا ، وجلست وانا اناقت ، واستأذن وغاب قليلا ثم عاد بعد ان طلب نفسه القهوة ، واخذ يحديثني في رقة ويزجي الي الصبح ، قال ان ما عرضته في كتابي غريب ، وان الذي لا يشي الرخ معرض للخسارة ، وان كنت لا اطلب الرخ لثاته ، فلي ان اريح لأتغن من السير في مشروع ، فقد لاحظت اني اقدم قديرا شيئا جديدا ، وانه خسارة ان يموت هذا المشروع .

وخرجت من عنده وقد افغقا على ان اقدم له بدعة عشر يوما قصة ، وان ادفع له النسبة المقررة للكتاب ، وحبت نصيبه فاذا به — مبلغ لم اكن املكه في ذلك الوقت — وان كان مبلغا شديدا ، فبعت حصة من ميراث ورثته عن اي ، لادفع له نصيبه .

وذهبت اليه ودفعت له المبلغ ، ورفضت ان آخذ إيصالا ، واصررت على الرفض ، واثرت ذلك في نفسه ، فكان له اكبر الاثر فيما كان بيننا بعد ذلك من معاملات .

وقدم الي قصة «ثلاثة رجال وامرأة» وبدانا في طبعها ، حتى اذا ما اشرفت على الانتهاء ذهبت انا وهو الى المطبعة ، فاذا به يلاحظ ان القصة قصيرة ، فطلب ورقة وقلما ، وراح يكتب وهو واقف وقد أسند ساقه المبهضة على ضد جمع الحروف ، وانا انظر اليه مذهوشا ، وما غادرنا المطبعة الا بعد ان اتهم من كتابة الفصل الثالث !

وانطلقنا وانا اكبر ما فعل ، فقال لي إن الصحافة علمته ان يكتب في الترام وفي المقهى وفي الحمام ، فقلت له قد يكون من الميسور كتابة مقال في محال عام او على قاعة الطريق ، ولكن ما أصعب ان يكتب فصل كامل من قصة في المطبعة ، وذكرته بما قد يلاحظه النقاد من اختلاف بين الفصلين الاوليين والفصل

الثالث ، فأخذ يسخر من النقاد ومن كل ما كتب !

واصبحت ازوره صباح يوم الجمعة من كل اسبوع ، فتحدثت عن الادب والادباء حديثا مستفيضا ، وكان يحلو لي ان اهاجم الاستاذ العقاد لانه صديقه ولانه كان يبري دائما للدفاع عنه ، وقد قلت له يوما إن العقاد لا يستطيع ان يسدع شيئا ، إنه لا يكتب إلا اذا رجع الى دوائر المعارف والكتب العلمية او الفلسفية يختص منها ، فقال لي كنا كمربات الرش لا بد ان نعلم ، فقلت له هذا ينطبق على العقاد ولا ينطبق عليك مثلا ، فالعقاد عملا فلسفة او علما فينضج بما ملي به ، بينما انك عملا فلسفة او علما تهضم ما نعلم به ، ثم تنتج شيئا آخر له مة خاصة إنه عربة رش وليس فنا .

كنت في ذلك الوقت قاصيا في احكامي ، وكنت اهاجم انتاج شيوخ الادب ، وكان يشاركني في كثير من آرائي الثائرة ، ولو ان احاديثنا سجلت على شريط تسجيل ثم معها كبار ادبائنا ، لاهدروا دما !

وكان المازني ذا عين لامة ، وكانت له قدرة تحويل كل ما تقع عليه عيناه الى قصة ، حدث ذات يوم ان نظر من خلال النافذة ثمة حديثا ، واذا به يقول لي وهو ينظر الى امرأة في الشرفة : ارى هذه المرأة الجبل ؟ انها ليست بوجه ، ومع ذلك يحترق ابوها وابها ، كانت فتاة [....] ولكنها اليوم صديقة جندي امريكي ، ان ابوها يقابلان الاسريكي بكل بحيلة واحترام . وراح يقص علي قصة لطيفة فكنته منعمة .

ونظر مرة من النافذة وقال وهو ينظر الى شاب يمازل فتاة إنه يضع وقته في الغزل لينة يدري ان الفتاة [....] التي يمازها لا تعرف هذا النوع من الحب ، لو كان يعرف [....] لاجر عندهم غرفة ، ثم دعاهم ذات ليلة الى عشاء متواضع ، فهذا العشاء كفيل بان يفتح له الطريق .

وكأنما اعجبته فكرة الحديث عما تقع عليه عيناه من شخوص فكتب « من النافذة »

وقطعت له الصحافة المصرية في اتساءل الحرب ابوابها على مصراعها ، فوجد الفرصة سانحة ليحقق حلما من احلامه ، كان يأمل ان يتمكن من جمع ما يكفيه لتشييد دار لاولاده ، وكان يقول إنه يريد ان يجتهد بعض ما قاسى ، فقد اضطرته حرفة الادب ان يبيت ليالي في مقابر الاسرة بالامام الشافعي ، وهو لا يحب ان يضطر اولاده الى ما اضطر اليه . وكان يقول في ذلك

عود على بدء

بفلم السيرة صفيہ ربيع

•••

لقد

عود على بدء* مكان خاص بين أعمال المازني الأدبية وذلك سواء في موضوعها أو في المعالجة الفنية لها . ففي هذه القصة وصل المازني بتكمه الذي يعد أهم خصائصه ككاتب وقاد إلى أعلى قمه . فلقد بلغ التكم في هذه القصة مدى تجاوز أن يكون فيه مجرد طريقة خاصة للكتابة أو حتى موقفاً خلقياً من الموضوع إلى أن أصبح ذات الشرط الذي يتولد عنه العمل ويستمد منه شكله . وأن هذه القصة باحتوائها لتكم المازني وبتجسيدها له لتعد مثالا على مقدرة الفنان أن يخلق عمله الفني دون تعبد من موقف خلقي من الحياة أو التزام طريقة خاصة من التعبير .

وعود على بدء هي قصة رجل عاد إلى فراشه بعد يوم مجهد مع طائلته ليستيقظ من حلم يرى نفسه فيه في بيت كبير ومعه امه ، التي تشبه زوجته شياً كبيراً ، وتشتغل بأعداد حفل باليوم - كما أخبرته خادمتها - هو عيد ميلاده السابع . ويلاحظ المماح محاولات عمه الداعمة أن يرضيه وتفسر له الخادمة ذلك بأن تكشف له عن خبيثة عمه ورغبته الخفية في أن تزوج امه .

* مترجمة من الانجليزية لمحدث التي من محطة الاذاعة للمصرية

ويحضر له الجاني كيساً به ثل يضعه في فراش عمه كما كان يفعل في كل عام . ويحين ميعاد الحفل فيحضر بعض الرفاق ليلعبوا معه وبينهم ولدان هما أبناء الشقيان فيلبمان معه ويسخران منه ويستغلان ضعفه وصوته وشعره الباني وبطل الصبي عاجزاً عن أن يتكشف عما حوله فهو لا يعرف عنه شيئاً إلا ما يستخلصه من خادمته التي لا يكاد يستطيع أن يتفاهم مع غيرها . وفي نهاية القصة ترى الرجل الذي تركها يعود متعباً إلى فراشه مذ استيقظ متعباً من أنه قد أصبح رجلاً عجوزاً فتضحك منه امرأته بعد أن يقص عليها حلمه وتذكره بكلمات الحاجة صباح التي زارها بالأمس وشحك منها هو وقد تيات له بأن توب الرجل سوف ينسى عنه إلى حين .

ولاشك أن القصة عوضوها تصلح تماماً للمعالجة السيكلوجية إلا أن غلطها من هذه الزاوية قلن تحدثت إلا عن جانبها الفني حتى ترى كيف استطاع المازني أن يقدم لنا قصة متناكسة تعتمد في وجودها على موقف يسوي بين الحياة والتعبير الفني متعمداً على التكم .

لم يكن الحلم حلماً بالنسبة له ولا لنا بل ولم يكن حديثاً عن

به في سبيل التقدم خطوات ، ولكنه كان قادراً على أن يطفئ به طفرة واسعة ، وقد دل على هذه القدرة تلك الزاوية التي وثها يوم قدم للمصرية روايته الرائعة «أبراهيم الكاتب» .

وقد امتاز المازني بتأوله على الرغم من سحرته ، وما قد يلوح في بعض كتاباته من تناقض فقد عدته في مرضه ، فقال لي وهو يتسم : لحضني الطبيب وقال لي إن قلبك ضعيف ، فلم يغزعي ذلك ، لأن جسمي شليل ، وليس في حاجة إلى مضخة قوية لتغذي ، فما القلب إلا مضخة . اتني واتق اتني لن أموت . ولكن المازني قد ذهب وقد ترك في أذن الحديث فراغاً لن يسد .

عبدالمجيد جوده السمل

القاهرة

الوقت انه تاجر يفتح محله للعملاء فن يدفع له عشرة جنيهات يكتب له عموداً ، ومن يدفع أكثر يكتب له أكثر ، ولو زادوا لزدنا . إنه ما كان راضياً عما وصل اليه ، ولكن الضرورة الجأته لذلك ، وقد قال انه يريد أن يضمن لأبناءه المسكن ، ثم يفرغ بعد ذلك للكتابة رواية يرضى عنها ، ولن يمه إذا كتبها في سنة أو ثلاث سنوات ، فكل ما يهدف اليه أن ينتج إنتاجاً طيباً يتفق مع قدرته الفنية ، ولكن القدر عاجله فلم يحقق من آماله شيئاً ، على الرغم مما اسدى للأسلوب الفني ، والقصة من خدمات جليلة . لقد كانت إمكانياته عظيمة ، فلو أن سبل العيش كانت قد تيسرت له ، وتفرغ للادب الذي كان يشقه ، لانتج في الادب العربي روائع تقف مع الروائع الأوروبية في صف واحد .

أدى المازني للادب العربي الحديث أجل الخدمات ، وخطا

او تأسخا واصارده على ان يجمله بعيش المشككة في تناقضها .
ان بطله في مطلع القصة يصف المرحلتين وكل منهما مستبعد
الاخرى فاذا ما اتصلت القصة اتحدتا تماماً واصبحتا ترى البطل
يستجيب استجابة مزدوجة في الوقت ذاته . كانت خادته تحكي
له قصة الرجل الفتي الذي اراد ان يتزوجها وهو « ابن خسين
وأصم وله ساق من خشب » فلم اقل شيئاً ولكن الغلام الذي
ليست جلده ضحك اما الرجل الذي في جوفه تحدثت نفسه ان
الدنيا لا تكاد تكون دنيا الا اذا اجتمع فيها كل صنوف الناس .
ان الموقنين معاً يوجدان في نفس البطل لان الواقع ذاته يحتوي
على مثل هذا التناقض ، ونحن في لحظات حياتنا العادية قد لا
ندرك هذا ولكن المازني عا اختار من تعبير وبالتركيب الفتي
لقصته يكشف عن هذه المفارقة بين المظهر والواقع .

انما تلقى البطل في اول القصة وقد دفعته رغبة غير محددة
ان يعود الى فراشه وان يكون اكثر صرامة مع بنيه فيما بعد .
غير ان هذه الرغبة البائسة تجعله يجد نفسه فجأة امام نفسه في
عيد ميلاده السابع ، وفي هذا المود على البدء في عيد الميلاد يتم
للرجل المحوز ذلك الميلاد الجديد الذي كان يتنمى . غير ان
عود على بدء ليست محاولة لاعادة البدء او المباشرة فيه من جديد ،
فالرجل يكر امكان الحياة في الماضي بتقريره الدائم لمعرفته بما
سيحدث . فليس الماضي مجرد سجل للذكريات يمكن ان يبعث
ان السود الى البدء انما هو خلق تجارب جديدة
من تلك القديمة الراقدة في اعماقه ، والرجعة دائرة متصلة لا
تنتهي يحيا بها دائماً تجارب جديدة ، والبقاء في احد طرفيها انما
هو نفي تام للتجربة .. انه يحس ان تكرار التجربة لانه يفرغ
منها ويعبر عن فزعه هذا في اكثر من موضع . ولكن هل يمكن
ان يكون هناك تكراراً حقيقياً .. لقد ضربه الاطفال واستغلوا
ضعفه الجسدي حتى تورم خده ، وجاء الطبيب ، « ولم يفلح
الى هذه العلطة الجسيمة ، وما بقية ورم قليل في الحذ وانما لكي
اورام » - ان الطبيب لم يفحص الا الاعراض الظاهرية ولم
يهتم الا بالمواضع الخارجية . ان العالم الداخلي الفردي الخاص
صندوق مطلق لا يستطيع احد ان يتزع مساميره ويرفع غطاءه
ويخرجني منه »

وبعد هذا مباشرة نجد بطلنا الصبي يتألم في الليل قد دفعته
حيرة الرجل ورغبته ان يجد لنفسه مكاناً في ذلك البيت الكبير
او تلك « السكره الارضية التي اوجع عندي انني ما زلت عليها »

العالم الغامض الذي يخلفه اللاوعي . فالمازني في حديثه عنه مدقق
واضح ، انه يعتمد حقاً على هذا العالم الحلمي للاعبود ولكنه
لا يضل فيه فهو مدرك تماماً لفكرته ، قابض عليها مستعد
دائماً ان يكشف لنا عنها ... وهو لم يلجأ الى الحلم كي يستمد
منه تصوراً او اقناعاً فان معالجه الفنية تجعل هذين المصنفين
وقد تحققتا يظهران ظهوراً خفياً من خلال العمل كله . وهو لم
يصور لنا بطله متقلبا من عالم الى آخر فان العالمين يوجدان معاً
في مجال واحد وليس عالم الحلم بالنسبة للمازني الا امكاناً وهو
يجرده هذا مما قد يتضمنه من معان سيكولوجية ويتركز انتباهنا
كله على رجل قد حلته احياة حرماً وتحقيقاً جمعه يستطيع ان
يصون من داخله طفولته ، فقلوبه وكهولته لا يرضان علينا
ذلك المرض العادي المبشئ الذي يقابل فيه بينها ، بل ها
يوجدان معاً في ساجز واحد يلو عن الحياة الطبيعية ولا يحده
نوم او يقظة ، يستمر فيه الانتقال بينهما استمراراً متصلاً دائماً .
فالمازني يدرك ان بطله لو أصبح في لحظة ما في واحد من العوالم
لبطلت القصة فهي لم تولد الا من خلال الصراع بينهما : « الى
البارحة قطع كنت خلفت ورائي شباني ، ومن هذا الصباح او من
الليل ، فا ادري ، دار الزمن - في وجدي على ما يظهر -
دورة انتاب معها الاحال فصار قدامي ما كان ورائي » ومن
ادراكه لهذا يكشف لنا المازني عن موارثه التي يخفيها او يحجبها
تهمكه ومصدر هذه المرارة وقصه ان يتربف بان تجربة بطله حلاً



ونموه في الظلام عينين واسنتين شاخصتين كعيني قط ولكنها
 « مزروعان ومرسلتان في الفضاء وحدها » وراح
 يشخبط في الليل بحثاً عن امكانيات جديدة يكره اذا به يرد فجأة
 الى واقع غريب... اذا برمارة الانذار تنطلق مؤذنة بخسارة
 جوية ، فيجمل الصبي مع أهله المدسوس بينهم الى الجبال . ويبدأ
 في عالم طفولته التي عادت اليه ، ويصف للجنابي حديث مخاطرته
 وقصصاً اسطورية مختلفة وهو يستثمر اثناء قصة هذا انه انما
 يفعل ذلك مضطراً بحكم ذلك الجسد الذي يسكنه .. وما اشد
 « ما تتحكم الاجساد في النفوس وتسيطر عليها » . وعند هذه
 النقطة تجلب تبدأ القصة في الحديث عن الطفل الذي صار اليه
 بطل القصة وكأنه شيء خارجي عن نفسه ، وكأنه يعدنا للبقعة .
 ونهاية هذا الذي اصابه حلماً .

غير اننا لا نبلغ هذه المرحلة من القصة قبل ان نقرر فرديته
 وجودها واحقيتها... واخر عني خاطر استعمرت اليه . ذلك
 اني قلت لنفسي ان الذي حدث لي لا يبدو ان يكون شيئاً
 بالرفو والرقع واذا جاز هذا وتسمى قبا بليس ، فانه لا يجوز
 ولا يسأل اذا كان الامر أمر شخصية . وضح ان الشخصية
 الجديدة التي يحصل بها الرفو والرقع جديدة ، لانها حديثة عهد
 بالوجود والحياة ، ولكنها تبدو للشخصية القديمة التي يراد
 رفوها - لا أدري لماذا حتى كانت اختلقت بالبيت أو قولاً غير
 تبدو دونها وأقل منها قيمة وأهون شأنًا وأقل نقاسة لانها لم
 تضح ولم تعرف الحظ المقدر لها من اكتمال الجواب » .

وعند هذه النقطة يحسن بنا ان نساو ، هل حل المازني
 تلك المشكلة التي اثارها واشترنا اليها من قبل أعني مشكلة المفارقة
 بين المظهر والواقع . ان المازني وقد أغلق في فرديته يقبل
 المشكلة كما هي بوضعها ، فهو لم يتخذ طريق توفيق الحكيم
 وينزل في برج عاجي ، ولم يستطع ان يشارك اولئك الكتاب
 الذين يربطون قضيتهم الفردية وبروتها داخل إطار أوسع منهم
 لغيب . ان المشكلة لدى المازني تدور في دموع الطفل وهو
 يسرع الى خادته بعد ان شخخ رفاقه الصغار مما اسوء شكله
 الباني . بل ان علاقته بالخدمة وهي ابرز علاقة من القصة ، لم
 يسمح لها ابداً ان تتطور بحيث تتطلب ان تحسم بحل . ففي اول
 الامر كان يشعر ان انجذابه اليها انما هو شعور الرجل الذي فيه
 فموس على ان يكتب مشاعره ، فلما تقدمت القصة وعلاقتها وقالت
 له « فبعيت لاستحيائك ان ادلك لك جسمك - وانا

الآن انعجب لنفسي - اشتهي ان ابرسك واستحي ان افعل !
 لعلها عينك فان في نظراتها لشيئاً . وعند ذلك يحاول ان يكشف
 لها عن سره ، ولكنها يسمي عليها فاذا ما عادت الى وعيها جعلها
 تهم ان ما سمته منه انما كان حلماً . وهكذا فان الجانب الخفني
 في نفسه لا يمكن ان يوجد خارجه . وفي مرة أخرى حاول ان
 يبر لها عن جبهه بكل ما يحدث حوله وان يعبر لها عن مشاعره
 نحوها واذا به يذكر زوجته فتقف الكلمات في حلقات ، لا من
 تخرج خلقي بل من فقدان للاحساس بالحاضر والواقع . وهذا
 الاحساس بالواقع لم ينطق . بل تراجع في الزمن وهذا ما يجعله
 يحس انه ليس حراً . ثم ان موقفه واعماله كصبي ، الذي تسبب
 له هذا الصراع ، تلقاها حياته الجديدة مباشرة في تقبل يسبق
 حتى محاولته هو ان يفسرها . فتندما يعبر بدعوة عن حزنه
 وحيره لفقره بين المالين لا يرى رفاقه في ذلك الاصفة له
 كقطيع بكاء .

وفي مثل هذه المواقف المتواصلة في القصة تبدو مهارة
 المازني الفنية في اختيار تفاصيله بحيث تتفق وتقبل التفسيرين
 معاً في آن واحد وتخلق من القصة كلا كاملاً . فهارت الفنية هي
 في ان يجعل هذين المالبين اللذين يستبعد بعضهما الآخر
 يتحدان ليكوأ عالماً واحداً هو عالم الرجل الكهل . وهو يقدم
 لنا استجابات بطول كبرجل على شكل وامثال مملقة دائماً ولكنها
 على الرغم من ذلك سلبية وان بدت لنا كذلك من داخل القالب
 الحلبي الذي اختاره .

ان تهكم المازني هو صفته البارزة كفنان . غير ان تهكمه
 ليس كتهكم الساخرين اللاذع او المصلحين الاجتماعيين ، بل هو
 اقرب الى ان يكون تهكماً ايقوياً فارغاً . ولكنه مع ذلك هو
 العامل الاساسي الذي يمكن للمازني ان يقبل وان يغلب على
 المشكلة التي تواجهه : المفارقة بين المظهر والواقع . وهو لا يحمل
 الحياة معنى فاجئاً ولكنه لا يجرده منه . فتهكمه كهتام الأمن
 ينظم العناصر المتخلفة في رؤياه الفنية بحيث تهادت فلا تترد
 المرارة بل تمكن في التهكم الساخك . وهكذا لا يضطرب عالم
 المازني بل يحفظ له تهكمه موضوعه على البعد اللازم للممارسة
 الفنية والحلق ولا يندفع به الى موقف أو عطف . ولولا هذه
 القدرة الفنية على خلق عالم متوازن لسقط المازني مباشرة في
 القمع الذي ينتهي اليه اصحاب الفن للفن .

صفحة ربيع

القاهرة

من كتاب «لينا»

بقلم محمد عيناى

من أسرة الجبل للهم

..

فتية الجسد تفرق في بسمتها آلام جسدي.
ساخناها جبلة جبلة حتى لا تفر
روحك المغذية لحظة واحدة بل نهم ،
كالخسرة الملوثة فوق الثمار .

وانا بعد انتصاري على الموت اقبل
الجبلة الجديدة اقبلها في شفتها وطويلا حتى
تمحي حسداً . وتضعب السطور الياكبة
التي نسيتها انامل على رخامتك الناصعة .
في صدرها

اعراس الورد وشمل الوقران
فاسطينا ، وخطيت يدي من حداثتي الصين
بلون الشاي ، ودخان ناعم هادي ، يسفل
من خزانها المسودة نائماً للبلون
ولون متوهجا يرسم أهمال الرمان وعلى
الجبلة من مزج النافذة لطيف مجاهدا ..

موالك الشذى ، ومواعيد الطيب ،
اجواء . من قارورة توي الآن فارغة
تحت الكرسي تسفل منها الشميم بعثياكا
يسفل الحب من القلب الغادر . وخرج
لينوح على قبرها ويكتب حرفاً جديداً ،
على رخامها الجديدة .

ودار العطر بصدرتها الصفراء
واسقمها من رنة العناب وترامى على
نافذتها ، يلامس اذيل بلوزتها الكحلية
وعليها ما زالت نمايا الموعد المعلوم . وعلى
قيصها الاليش ، سطور كتبها الاعتساب
والحجارة وفورة الصبا والقبيلات الظلماني
التي لا تزوي ، لا تنتهي . وعطلة الحصر
على الحصر .

وهنا ... هنا ... شوكة على القميص
صغيرة ما لحثها عين الام . تركها الموعد

على باب خشبي قديم

الجرح يترق الدماء الحارة ، فتسيل
من القلب الملين على الجسد . وفي عقدة
المفاصل السريعة ، في دورة الرأس وتغل
الآلام . في الطغنة والحجر يدور في
المواعيد المنسبة والرائحة الممزقة ...

وتخال من الرخام يمر في درب القرية جبلا
ولا يراك ، يظل في النفس جزء المهني يتم .
وفي الاعصاب المقطعة ، عصب لا يزال

يحس بحيل الدماء الناصعة التي تروي
الجسد وتقي . من صاحب القبيلات الحاشية .
ومن ملاسات الحبسية ، عصب سليم ، انجبت
اليه بقايا السادة الغاربة من اللوفان ...

في الصدمة السريعة ، حين ينهار العالم
في لحمة وتمسك علكة النفس تظل الشمس
تبتسم في زاوية مشرق من زوطة الوجدان .
وينفتح الصدر ويسمخ العنق والمكبنا ؛
انسان يجعل جرحه والطغنة الغادرة
القائمة ، تضال في كبرياء الذات فهي قبلة
والام يصبح نبضاً عميقاً ، للقلب المائل الى

السكون ... والحطوات العائرة المترعة
رقصة طروب وعلى خشية الحب ، ذات
المسامير الدامية بطولة جبلة شائقة تستغنى
بها الاجراس الى الابد .

قصتها . جمال . وحب . وموت .
غدا انساك

غدا انساك وانطلق في الدروب الى
صخرة تطل على الامواج اللاهية .. مع
حسنا . وشقت شعرها بوردة جبورية
حسنا من مدبني ، اشرب من فيها
حتى الصباح . ساختار انا نفسها وروحها
ولون عينها وليان خصرها وتسري بمدبني
عن رخامتك الصغيرة بمشيم للحياة والحب
فلا يمرض لال اليوم الذي نغم بذكر الك .
ساخناها شقرا تصف ستابل شعرها كما
اشتبه واسعة الحطوة ، وضادة الملاح ،

بين خيط وخيط هدبة البرية الى خدرها وفي
الزاوية على وسائلي الممزقة ، وردة مسلوقة
وقنحت هبة هواء ، خزانتها الحزينة
فاذا بها فارغة ! اختباها جوع وتطلعت
عيناها فلم ارا الا رخامة بيضاء يضعب تضعب
في حجرة الاميرة ذات الثوب الساهوي وعليها
كثبت الاحزان انشودة الحب الفابر .

الخاتمة

قبل ان تنحدر الى اعماق الارض ،
في خاطري ، الى مهاوي النسيان ، وقبل
ان نجنم على صدرك انقي الجبل ، ايم
الاميرة الصغيرة ، ذات الثوب النيبذي ،
ورخامة الحب البيضاء ، فلا تمر بك إلا
الدينان والعصافير وخطى راعية صغيرة ..

قبل ان تنجمدي تحت التراب الثقيل
وتشمري بكابوس الفناء أشعر أنا الآن ،
في اعماقي المنطرية اللاهية ، بكابوس
الحب سأنصورك بمددة في مكان الموعد
في منى اللقاء ، بين هشيم السنايل ،

وبقاياها المتناثرة ، وراء جدار البيت
المطل على الطريق قريبا من هيكل
عشرون * الذي اصبح زريبة للبشر ،
أنصورك بين سوق القمح المقطعة ،
وبتلات الشبقي المغيرة الداوية ، والتبن
المتناعد من أحباء بلبل كان يصدح للنا .

في الصباح تحت بساتين الشمس ، ساعة الموعد
وهو الآن مثلك ، جبلة هامة ،
خشية ، تأكل الدودة عينه الجليظة ينحل
ريشه في لعبة العناصر . وسريان الموت .
أنصورك الآن انها الرشقة الغادرة
جسداً جبلا شاحبا ، وجثة الهامة مددة ،
مددة على يسدر الحب ، هزيمة ، وراء
الجدار ، بين السنايل المقطعة .

* بشتار أو بيت عشتار - قرية بليقية أثرية
صغيرة على الطريق بين السودا وطرموس
في سورية .

أنفك الجبل، وعليه قبلاقي وآخائي،
جامد في البور، وجهتك — وقد جلت
ليائها أناملي — عارية ساحكنة لفتحها
نسمة الموت فهدمت .

وشمرك الأفواني الرتيب ، الليلي ،
الاسود مثل قلمي ، يخلط بشحوب الفش
وسمة التراب الظلامي . ونفرك الكركزي
الذي كانت ترتسم عليه بسمه العطاء
وقبلته . مسحة الان كلف الموت هداة
أين منها هداة القرية حول المواعيد .

اجل أتصورك صبية مسجاة ، من
الشرق الى الغرب ، من جدار البيت الى
أقدام الشوك ، والعصافير خضراء بلون
الامس ، صفراء بلون الل ، حمراء
الاجنحة والخنازير بلون الرمان والنبذ ،
والعين المقرحة والجراح ...

زرقاء . رمادية كحلية ، مزوقة
مثل الفسطين ، فيها الحسون ، والدوري
والكروان ، والبلبل ، وفيها الطير
الماشق ، الكناري الاصفر ، نحوم كلها
بصمت وسكون حول جسدك المسجي
على أعشاب البرية ، وفي صدرك تحت التهذ
الايسر لجوة خاوية دائمة ... يتسلل
اليها النمل ومنها تطل أوتار قلبك المقطعة .

اميرة صغيرة ، ذات ثوب نيبيذ
وشريطة بيضاء ، من التفتا على شعرها
الاسود ، واثنين صغيرين كان يقبلها
سأس — رنين الاجراس ووسوسات
التسم ، وهمسات المشق ، دوى نيا
مصرعها في البرية يحملوها ، قبل ان
يهولوا عليها التراب ، راب القرية الدافي .
الحمور المزوج بأطفال السود ، وبراعم
الازهار ، وجذور القمح حملوها ،
خائفة الى مكان اللقاء .

لا ترتشي
لا ترتشي . فليست هذه السطور

تجديفاً على الحب وليسكن احمني ايها
الرشيق يا عمر الربيع ، يا خريف قلبي .
لقد علوك الحب حبة عاشق خائفة
وصلاة بين السنايل — على قديمك —
وراء الجدار . وهمسات ناعمة ، ومواعيد
تدنى بالقبيل والآهات ، وصوتاً هادئاً
يسدك بالقصور والحلي والفساطين
الوهادية المزوقة ، صوت عاشق يدنو من
اذنك الجلية فيهمس : حبيبتى . لغة عميقة
تسري من قلبه الحب ، المتنازع ، الطروب
مواعيد لا تنتهي

الليلة ، [هذه الليلة لا تلك] ، التي
ترتبط بشمس وقر يجمعنا هذا ، الليلة
في الحديقة ، ذات الاعشاب السامية
الرحيمة وغداة في المسكر ، في البستان ،
تحت الزمالة الصديقة وغداً ، تحت لفحات
الظهر ، في ذراعي السندباد المعجزة الان
في قبلة عتد الجوى والوجود والصلابة
والضراعة فالدم من قلبي يرقى مسجون .
طوف بك رحلة الى بلاد جدودة
وحياة في بيت تكون فيه أحراراً فلم

ومواعيد ، يا حبيبتى ، مواعيد . ثم
تلتمع الحبة نجاة في صدري فاهنت :
لينا ! لقد برق مصري واتضحت شباب
أيامي واضاء عليها نورك المقدس وانجلى
كل شيء . يا حبيبتى . ولت أجباً إلا في
ذراعيك . فتقبلين علي بقبلة حرى ،
لا تمي ، قبة يصكون محباك وشمرك
وصدرك وخصرك بعض موكها الى
كياني . وكالطواف الذي يبدأ برذاذ
هامس يحرك أعشاب البرية اليابسة
ويوشوش في اغصان النعاج ثم يحرف
الجبال والقصور الى البحار المزدبدات .
وتتعالى مواجعه الهادرة الغضبي لتضع
العلل ، وتلثم اوكار التسور . هكذا
تحول موعدا الهامس المزقق وجوه

الساجي ، الى موعده هادى صارخ .
يختصر الحب السهر والشوق ، في لحظة
احمق ما فيها ثورة الان ، فترك لجوة
بنية حمراء في صدر القمح ...

ولكن اسمي ايها الرشيق ، ذات
المواعيد التي أصبحت كاذبة يا ذات الضمير
المبحوح علوك ان الحب ليس لآقبالات
وكلمات وهمسات وصلوات ولقد أخطأ
من علمك الحب . لآت الحب — في
احيان — نار ، ودم !

فلا ترتشي : لآت قطع اوتار
حنجرتك فلا تصدح لغيري . ولن
أنجز ضلوعك فلا ترتاح على غير ضلوعي
ولن أشوه محباك الجبل ينجري فلا
تمر عليه انايل السوى ولن اخرج لساء
القرية ورجلها خلفك في موكب ناعس ،
مثل موكب احلامي البائسة التي تجر
تاوت قلبي الى قبور الفراغ .

بل ستموتين في قلبي وروحي
ودكراتي في آلامي الوضبة التي اشرفت
يوماً بظلمتك ، ولفنائك ولظلمتك .

سأفرك كبراً صغيراً سامتاً وأهبل
عليه تراب الصنم الذي عبيدته ، وهو
الحب وقد أصبح فتنة من أكاذيبك
وأهبل على هذا القبر الصغير الصامت
التوحد الاغصان الخضراء المقطوعة من
بستانكم والورود والزنايق وعبطات
القمع عن البيادر .

وأضعك هناك ، ومع جسدك الوردى
بلون أزهار الدفلى على الضفاف وذرى
الغيب فوق مقاهي شوران مع جسدك
المعبود الذي آدمى شفاقي .

سأترك — مع جسدك المعبود —
القم الذي خطت به اناملي هذه السطور
وهو الحجر الرقيق الذي دبحتك به
في برية نفسي .

محمد عيتاني

الرجل الاعزل

بقلم محمود البروي

جلس

ميرة هاتم في حديقة منزلها في ضاحية مصر الجديدة تستمتع بهواء الأصيل في الحديقة الباهرة المزهرة وكان يصورها عند الفناء الفسيح الممتد امامها حيث تلتهم رمال الصحراء تحت اشعة الشمس القارية .

وكان الشعاع يتجمع عند خط الأفق ويكون لونا رجونيا اخاذا . وكانت الصحراء ساكنة وهواء الصيف في تلك الساعة من النهار يبعث البرور الى النفس فاخذت ميرة هاتم تستمتع بما حولها من جمال وقننة .. وكانت ترتدي فستانا بني اللون قصير الاكمام مفتوح العروة . وتضع في رجليها حذاء مكشوقا برزت منه اصابع قدمها وقد طليت اطرافها بالاحمر ... وكانت لا تلبس جوربا فظهرت الساق البلي في كامل قننتها اكانت صلبا مثال قادر .

وكانت عارية الرأس فانسدل شعرها على كتفيها وغطى جيدها .. وكانت وهي جالسة على كرسيها العلويل قد مدت ساقها واضطجعت الى الوراء قليلا . وانحضت عينيها نصف اغماضة اكانت تحلم .. وظلت على ذلك مدة حتى انتهت على رنين جرس الباب الخارجي فقلقت . وراى الخادم وهي تفتح الباب ودخل شاب في مقتبل العمر يحمل يده اليمنى بعض الكتب . ويرتدي بذلة رمادية وكان تحييفا طويل العود ، مقوس الظهر ، يضع على عينية منظارا ميكاء ويمشي في تودة كانه يطلع . وعندما اجتاز عمر الحديقة وصر بجوارها حياها بانحناء

خفيفة من رأسه وتابع سيره الى الداخل ، وراى الخادم قادركت ميرة انه الخادم الجديد الذي يعطي دروسا خاصة لابنها جمال ... وكان قد جاء منذ اسبوعين ولكنها لم تره سوى هذه المرة .

وعندما نظرت اليه اشفت على تحافته ومرضه . وظلت في مكانها جالسة بعد ان دخل ... ولكنها عندما سمعت صوته طالبا في شبه غضب ، نهضت وانجحت الى الداخل .. ووقفت في البهو تستمع ، وكانت غرفة المكتب مفتوحة فسمعت صوت المدرس وهو يلقى الدرس في حدة ، وصوت ابنا يستعبد ما يقوله المدرس في ضعف ، وخيل اليها ان ابنا يكي .

فاضحت بالشفقة والحزين وودت لو تدخل عليها الغرفة وتأخذ غلامها الوحيد وتطرد الاستاذ

ولكنها بقيت في مكانها تأدبا منها . وبعد برهة هدأت حدة الاستاذ فدخلت الى غرفة نومها تترين ، وعندما فرغ حسين من الدرس ونحى العلم ... وخرج الى الحديقة نظر الى الكرسي الذي كانت تجلس عليه ميرة هاتم فالفاهه فارغا ففكر فيهم يصبر قلبه .

واخذ حسين كلا جاء الى البيت بعد ذلك ورأى ميرة هاتم جالسة في الحديقة او في الصالة ، يحيطها في ادب جم وكانت ترد على تحيته في خنور .

وكان كلا وقع نظره عليها بحس برجة شديدة تسري في بدنه فيجلس على كرسيه في غرفة المكتب وامامه ابنها وهو شارد صامت فاذا شرب القهوة رجع الى نفسه وبدأ الدرس ... وكان يراها دائما في ثياب بسيطة حادة تلهب نظره ، ويشعر وتحمسر عن السابق فيحس بسياط حادة تلهب نظره ، ويشعر بقلبه يضطرب وحلقه يحرق .

وكان قد اشرف على الثامنة والعشرين من عمره ولكنه لم ير الدنيا الا في صفحات كتاب يتالعه في المدرسة وكانت المرأ



دخيلة نفسه باوتياح نحو هذا الرجل .

وكان كلما اشتد الحر آخر حين ميعاد الفرس ساعة ...
حتى كان الفرس في الأيام القريبة من أيام الامتحان يبدأ عند
المساء ... وكان وهو خارج ليلاً يلتقي بهذا الرجل غالباً ..
فيحييه وعلى فقه ابسامة .. وكان يسأل نفسه اينيت معها ... كان
يشمر بالنيرة تنهش قلبه .. واخذ على توالي الايام يشمر نحوه
بمقت شديد .

وكان حب حسين لميرة هائم صامتاً مكتوماً يشتعل في
داخله نفسه ... وكان كلما رأى مفاظ جسمها تروح ونجيء امامه
يكاد يحين ... وكان اذا صبر بها من فرجة باب المكتب جالسة
امامه في الصالة قلبه يعض المجلات المصورة .. كان يحدق فيها
بعينين تنهين .. ينظر الى ساقها ويلتمس جسمها كله بنظراته
المشتتة .. وينفل عن الفرس وينظر اليها ساهماً مهوور الانفاس
ويحمد الله على انها لا تقع على وجهه المتفعل . وكان كلما مرت
الايام اشتد تعلقه بها وزاد حبه سعيماً .. وكان ينحين الفرصة
للافراد بها وبها لواعج قلبه .. ولكنه كان كلما اغرد بها احس
كان لساعة خب في حلقه ولا يستطيع ان يفتح عما في نفسه ..
ويحس ان قلبه انما هو عصبية .. وكانت لا تحس بوجوده
اطلاقاً .. ولا تثيره اي التفات ..

الفرصة

جريدة اسبوعية سياسية اقتصادية
صاحبها ومديرها للمؤول

فرتسوا غصن

الاشتراك في لبنان وسوريا ٢٥ ليرة
هذوائر الحكومية والمؤسسات ٥٠ ل.د.
في الخارج ٥ جنيهات او ٢٠ دولاراً
ضواها: بناية ساغوى اوتيل شارع
البرودة ساحة الشهداء - بيروت لبنان
التعاون البرقي : ادفرت ، بيروت
ص. ب ٢٠٣٠ تلفون ٦٦ - ٦٨
الاعلانات يتلق بشاها مع الادارة

تترادى له في احلامه كشيء . لئذ يمنح ولكن ليس الى الاستحواد
عليه وامتلاكه من سبيل . ولهذا كان ينحسر ويتألم ١٠

وكان عمله كدروس قد استغرق كل وقته . وليس تلميم
السببان بالشئ . المين فاهم يأخذون منه كل وقته ويستغرقون
كل فكره ، ويجعلونه يزل ابدأ الى مستواهم في التفكير والفهم .
ولقد دخل يونات كثيرة من قبل ورأى ايهات واخوات
تلاميذه وحادثهن وجالسن ، ولكنه لم يشمر قط بثل الماصف
الذي يلقاه كما رأى ميرة هائم ، ولم يدرك لذلك سبباً ..

كانت قصيرة القامة ريانة المود في الثالثة والاربعين من
عمرها خيرة لون البشرة سوداء العينين بتألق بها بريق أسر
هو بريق الرغبة المطلقة في الجسم المتثل ، حيوة وقوة .

وكان شعرها اسود غزيراً ، ووجيها مستديراً وانها دقيقاً
وفها مفرج الشباب ، وهنا تجتمع كل فتنتها ، فانه كان يرى دائماً
فيها مفتوحاً وشفتيها الغليظتين مبهتين ابدأ للقبيل . وكلم مرة
تصور نفسه يصبر الشفة السفلى حتى يدبها . كم مرة تصور ذلك
حتى وهو يدوس قفلاً . كان يترك الفلام يميل ولحياته ،
وينطلق هو في احلام اليقظة .

وخرج ذات ليلة بعد الفرس ، فلقى وهو يجاز الحدقة في
الخارج رجلاً يدخل المنزل ، وكان يرفق الى زوج ميرة هائم
متوف منذ سنوات فلا بد ان يكون الرجل من ذوي القرى .
ورآه ذات مرة جالساً مع ميرة هائم في الحدقة .

ثم اخذ يلتقي به بعد ذلك كثيراً ، وفي الليل غالباً .. يراه
داخل البيت وهو في طريقه الى الخارج .. تحدثت نفسه ان
الرجل يبيت معها ١

وكان حسين يتهلف الى معرفة بعض الشيء عنه والتقى به
مرة في اليوم ودعا الرجل الى الجلوس فجلسا يتحدثان قليلاً ..
ورأى حسين ان الرجل مطلع مثقف ولكنه شاذ غريب الاطوار
وعرف ان اسمه صام . وكان قد تخطى عقده الرابع ولكنه ظل
محفظاً بريق الشباب وورقه . وكان قوي الجسم مقتول الساعد
طويل الوجه ابيض البشرة . في عينيهِ بريق الذكاء .. وسكانت
اربعة اذنه ملتوية قليلاً وذقن بارزة نوعاً وكان عنقه ضخماً كأنما
خرج من نطاسق سوى مع كنفه ... ولهذا كان صوته جهورياً
اجش وكان عذب الحديث لا يفرغ من حديث الاليمود الى ما
هو امتع منه .

وعندما حياه حسين واخذ طريقه الى الخارج لم يشمر في

الفناء ...

وكان الليل ساجياً بمتاعاً والشارع قد أخذ يفرغ من المارة .
وكان هناك أناس يسرون وأنجين غادين أفراداً وأزواجاً في
خطوات متممة رتيبة . وعبر الحديقة الطويلة .. ثم مال إلى
اليمين في الشارع المتجه إلى ميدان عمر بن الخطاب .. ورأى
وهو نازل في الطريق رجلاً يقبل على مهل . وعرفه من مشيته
لقد كان عاصماً .. وشعر بشيء يضط على قلبه وبحزن شديد
نحو الرجل . ولما اقترب منه عاصم مد إليه يده مسلماً . وقال وعلى
شفته ابتسامة ..

« لقد انتهت الدروس .. »

« أجل ... »

« كل امتحان وانت بخير .. »

وخيل لحسين أن الرجل يسخر منه فقال ليتشفي ووجهه
ناطق بالخبث .

« اذهب انت الى هناك .. »

« الى ابن ... »

« ألبا ... »

ونظر إليه عاصم طويلاً .. وقال لنفسه أحطم انت هذا
المحبول .. أم أقطع لسانه ثم سكتهم غيظه وصمت .. وقال في
هدوء وهو يخرج شيئاً صغيراً من جيبه ويقدمه إليه ..

« خذ هذا هدية بي .. قد تحتاج إليه ... »

وسأله حسين مستغرباً وهو يتناول المسدس في يده يسد
مرتحلة .

« احتاج إليه .. أنا ... ! »

« أجل قد تذهب يوماً ما الى فلسطين ... او قد تفرغ منه
رصاصاً في رأسك » واقترب منه وهمس .

« اتدري لماذا ... »

« لا ... »

« لأن حبك خاب .. »

ولمعت عينا عاصم في خبث وهو يقول هذا وتركه مولىً إليه
ظنره وظل حسين يرقبه وهو يغمي والمسدس في يده ... ولمع
في ذهنه خاطر سريع ... قد المسدس ثم جبن وشمى ذراعه ...
والتي المسدس على الرمال .. وسار في طريقه حتى ابتلعته
الظلام ...

محمد البروي

القاهرة

وكان كلما امتعت عليه ازداد بها وجداً .. وكان يعود في
هذة الليل ويدور حول منزله .. ويرقب غرقها المضاء من
بيد . فاذا لمحا على بصره بها لا يتحول عنها حتى ينطفئ
الثور في الترفة فيريح المكان وهو في اشد حالات الألم .

وذات ليلة رآها وقد ليست منامتها واخذت تترن مستعدة
لثوم . ثم رأى رجلاً يدخل عليها الترفة ويقترب منها وخيل
إليه أنه احتواها بين ذراعيه وتصور أنه عاصم .. ورآها تلتق
مصراع النافذة وتطفى . الثور، ويبارح المكان وهو يبكي كالطفل .

ونجح جمال في الامتحان ... وذهب حسين لينته .. واستقبلته
حميرته هانم مرحجة مسرورة ... وسر لهذا الترحاب وجلس معها
يتحدث .. واحس بنفسه لأول مرة يتطلق معها في الحديث ..
وتحدث وتحدث حتى مضى جزء من الليل .. وذهب جمال لينام
وقبى معها وحيداً .. وتركته قليلاً وطدت معها مطروف صغير
وقدمته له وهي تقول بصوت ناعم .

« متفكرين يا استاذ ... »

« ما هذا ... »

« اتباك . وكتر خبك .. »

« لا .. لا .. لا هذا لا يتكرر .. »

« .. كيف هذا ؟ .. »

واعادت إليه المطروف .. فردة ألبا ولمس وهو يفعل ذلك
ذراعيها ... فاحس بمثل النار في جسمه ... وقال بصوت خافت:

« مش طاوز فلوس .. »

« آمال طاوز أبة ... »

« انت طارفه ... »

« مش طارفه حاجه ... أبة ... »

« طاوزك انت ... »

واحس بلطفه قوية على خده .. ومر هذا في مثل خفت
البرق .. واشارت يدها الى اليساب وقد اخلبت سحتها الى
سحنة لبوة !

وخرج مهزولاً ذليلاً . كالكلب المطرود .

ومضى في شارع طويل ملاصق للمصحاء وهو شاعر
بتعاسة مرة .. كان يود لو تقوس به الأرض ... واخذ يضرب
في الطريق على غير هدى تاركا النمان لأفكاره تسبح في اجواز

ومن الرمح تفتق الثوب عن عود خليل
شبح تذرأ بي الاشباح ذعراً من هزالي

ان في اذني اصداء دهارير خوالي
من ذرى الاجيال من فجر الامل والامل
غير ان الارض شدتني اليها بمقال
سمعت اناها طول اضطرابي وارتمالي
وامات هامتي وطأه ايامي النقال
فصكاني اقترى في التري وطء النمل
ليس يرمي وتري عن مزرع القوس نبالي
وأوى اليأس الى جمعة آمالي العوالي

لم تزل شمك في الرأد وقد طال خيالي
وترامت خلف اجفاني سدول من ظلال
تقد الزيت، ولم يبق سوى فحم الدهال

يا رفيق الفكر سرناه معاً رجب المجال
وضربنا في فجاج الارض من دول كلال
شاعت الدوحة، والدهر ضنين بالنال
فاتبع ركبا أراه آتياً عبر التلال
سر مع الركب وأسلمني الى ليل الزوال
تفصل الكشبات جنباني بأنوار الهلال
ثم تحو كصفني ربح جنوب وشمال

حرم يومي، فالتس يا شوق غيري بومال
وابتل الآتين بعدي منك بالداء العضال
أورم مثني ما زينت من خلد حيالي
واجم الاجيال لحب بحر بالجمال
واملا الأهراء البوت باغمار الغلال

ليس تبلى جلة الامصار في دنيا الحيات

يا ابن قلبي

✽

لعمركم النجار

•

موسكو

✽

أين انت الآن في الدنيا وفي أية حال ؟
كلما ناداك قلبي ماد لي رجس السؤال
كمطاش الطير قد صدت عن الماء الزلال

كم زجرتُ الشوق طواقفاً يبديده المجال
لايه الانتقاس، محوم الخطى، وارد آال

ايها الشوق، مضى في الافق من لست بسال
فانك الركب، وخلاك على حر الرمال
وعوت حولك، تهب الجوع، ذباب الليالي

يا ابن قلبي، وهن النظم، وألقت رسالي
هاك فضل الزاد، والماء، وأسمال بوالي
فاستنم ما نمت دوني، بالبقايا الضئال
لا علي الآن من جوع لارماقي التوالي

ولد

رسالة ، يدور من قارة الى قارة ، لا يعرف الهدوء ولا الاستقرار ، فهو ابن العالم ، وشب رحالة يتنقل من طبيعة الى طبيعة ، لا يعرف الملل ولا السكال ، فهو ابن الطبيعة ، ومحا قلبه يشده الى شي ، يحاول يوتده الى اعماق الصخور ، وغلت روحه ، ورفرف قلبه القلق ، وعلا كريمة ، كآبه في نزاع ، لكنه لم يبتد الى المجهول ، وانبتت من قلقة الفائر ، فمتهبات ساخرة ، هز هزت ارجاء الفضاء ، ورجعت لرافق ، فبروا منه .. واعمد لسانه كالسياط الحديدة ، يسخر بكل شي ، بكل انسان ، اما والدته التنية ، فكانت محبة ، لا تريد ان يبتد عنه الاصدقاء ، فتقول : « يا ابني الحبيب ترفق بأصدقائك ، هم كثيرون ، لكنهم ينفرون منك ، ويتركوك وحيداً .. » ويرفع رأسه هائلاً ، ويحجب بكل هدوء : « ومن يأبه .. من يأبه لثل هؤلاء السخفاء الاغبياء ، الذين لا يدركون روح الحياة ولا جوهرها .. » السخرية ترفه عن النفس الحزينة .. شان ما بيني وبينهم .. هؤلاء ، يعيشون دون احساس ، دعهم يا اماء .. لن يكونوا اصدقاءني ..

ظلت روحه فائرة ، نائرة ، قلقة ، حتى حمل بين اناقه الريبة ، واندغم في الطبيعة ، يبحث عما يميزه ، تاركا وراءه متهباته وسحرياته ، وسرعان

ما اطمأن الى الطبيعة ، ووجد فيها راحته وسعادته ، فشاركته عبقريته الفريدة ، وادركت روحه العميقة ، وسحرته اللاذعة ، وشخصيته الرائعة ، وراح يرسم ، ويرسم .. وهذا قلباً ، يحس نبضات الطبيعة ، ويسمع منها الحاناً عجيبة ، ويمصر بقلب نقاذ .. وتفجر من سحره متهبات مريحة ، وتخفف من تشاؤه النيف ، وآلامه الجريحة ..

في الطبيعة وجد محبة ، وجد كريمة ، وآمن غواها ، وسجروها .. آمن بكفى ، وبك غيرك ، لم يكن مؤمناً كما كانت والدته المؤمنة الصالحة ، التي لا تعرف محالا الا الكنية ، كان كافراً ونخباً في نظر والدته المؤمنة الساذجة ..

لكل انسان محبة وكريمة ، لكل الناس عبقري دين ، وليس الدين الموروث هو الدين الذي يهدى النفوس ، وربها .. وليست الاناشيد الدينية هي التي وحدنا تسبح الله ، بل كانت كل لوحاته صلوات ، وكانت ريشته الجامعة ، تسبح العظمة والجلالات ، وكانت الطبيعة هيكله وعرايه .. كلها تتوجه الى الطبيعة الرائعة كمي تسممه الملحنات والاناشيد ..

لم يدع اليأس ينسرب الى قلبه ، بالرغم من حزنه الطويل ، وأله المضيق

وجوعه القوي ، بل كان كالمساق ، كاللارد ، يحطها تحت اقدامه ببقية واحدة ، ويسخر بالقدر ، كان يريد ان يصارعه في كل حصة من حصاته ، وفي كل حركة من حركاته ، وفي كل غطة من غطاته ريشته .. انه خالق الملحنات البيضاء ، والبوداء ، معاً ، فالملحنات البيض تلتج صدور السود . واللون الاسود ، يومي الى اللون الابيض ان لا ينسى دنيا الالام والاخران .. حقا كانت لوحاته عزاء البؤساء ، وانتصاراً على الشقاء ..

لم يأبه للعجاملات ولا للرايا ، وهرب منه الناس اثناء لقاءه لسانه الحاد ، اما اسدقاؤه فقد ابتدءوا عنه .. ما اسرع ما كان بل الاسدقاء ، او ما اسرع ما كان يفرقهم ، ويبرز رأسه قائلاً : « ومن يأبه لثل هؤلاء السخفاء الذين لا يفهمون دقائق الروح ومعاني السخرية .. » وينطلق وحيداً غرداً الى مرمره ، يسجل على لوحاته قطعاً رائعة ، تنصهر على الصفوف والفقر والتشاؤم ..

كان تشاؤه ، في الحياة تشاؤماً بناء ، لا يعرف الهدم ولا الدموغ ولا الخراب بل يأخذ منها كلها حياة ، فتريد حياة على حياة ..

يحب اللون البلي ، يجد فيه هناء وسعادة صكرى ، فيه ينوب بالقوة المبقرة الحلاقة ، وبالألغام المبدع .

بالرغم من قهقهاته المتعالية، وسخرياته المتواصلة، ومزاحه الخفيف، فقد كان يحب العزلة، يحيط نفسه بهالات من الضباب، تعتقد اليوم عندما يصمت، وتفرط عندما يهتف، يهرج ساخر، حتى قيل انه فيلسوف، أكثر بصيرة من فلاسفة القرن التاسع عشر اجمعين.

انتقل من باريز الى لندن، وحطت قدماه هناك على ارض لندن، واطلق قهقهاته واحدة، واحدة، حتى شعرت الطبيعة بوجوده، فاهتز ضباب لندن الضيق الكثيف، و تفرق ... وفزع منه الناس، وارتدوا عنه خائفين، لم يفهموا هذه الشخصية الغريبة، وهذا التصرف الشاذ، ولم يدركوا فلسفته، ولم يفهموا ملاياه الثائرة، بل عذوها ضرباً من الجنون.

صق اللندنيون عندما رأوه حاملاً، مثلن: احدهما يضاء، والثانية سوداء، وقد سئل عن السبب فيجاب: ان العنقس طقس لندن الحائض العيين اجبرني على ان اسلمت نفسي، واتقيها من شروق الشمس وتزول المطر في آن واحد..

احب الفنان الليل، في الليل يذوب كل كائن، يتلاشى كل انسان، كل شيء.. في الليل يبدأ قلب المصنوع وتفتتح بصيرته للمحاسن، ويرى ما لا يراه بالعين، ويسمع ما لا يسمعه بالأذن.. لم جمال السماء والارض، حفلها كلها، لا بل نحتها في روحه الثقلة لتهدأ وحملها الى مرصه لينتزه في الحد لمحنات راحة، وقطعا ليلية جليلة..

وبعد.. حوّل اللندنيون دهشهم لتصرفاته الشاذة الى اعجاب بفته الذي

بدا فيه مخلصاً، صادقاً، مؤمناً بالتصاغر عظيم، اتصاغر الانسان على القدر، وسحق الآلام والامراض والفقر، ونحوها الى روائح خالدة، لا يحسها الا الموهوبون المياقرة..

وعب من الليل ما شاء وراح راهب الليل وسار Whistler في اعماق الليل يجلس امام شواطئ، النهر ساعات في الدغشة المتلاذجة، يحفن منها جهالات وفي التبارجتها على لوحاته خالدة.. هذه النجوم ترمي شعاعاتها وشرشات، من الازرق حفة، ومن الاصفر حضان، تركد على جسر هناك انها ملححات سامنة ومثاليات، فيها تتكلم الارض، وتحدث عن اسرارها الساء، وتهمس للقلوب الوافسية عن

ماحياتها، هندي ملححات صادقة، لا نرى فيها خطأ واحداً مهملًا، ولا لوناً واحداً نافرأ، ولا فكرة واحدة نائية، هندي القطع مزاهر الحياة الصادقة..

هذا الفنان «وسار» ، هذا هو راهب الليل، غطّ قلبه في الليل، في سواد الليل، لكنه لم ينس غمزات النجوم وابساماتها، لم ينس اعماق الليل وعظمتها عندما يستوي فيه جميع الكائنات، فيبدو الاكواخ الحظيرة كالنصور الشائعة، والسماليك كالملوك.. كل شيء، كل انسان يخضع لهذه السيطرة الساحرة السجبية، يسيطر الليل على الارض والسماء.. وبعد هذا الانتفاخ في الليل يخرج الفنان وفي روحه الف حكاية

اقرأ

المجموعة الشهيرة الاولى

التي تصل منذ اكثر من ١٠ سنوات على جميع مختلف ألوان الثقافة وتغريها الى كل قارى، وغائرة في غتظ الاقطار العربية

صدر منها في سنة ١٩٥٣

رقم الكتاب

| | | |
|-----|------------------------|---------------------------|
| ١٢٠ | شاعر الشعب | لدكتور سامي الدعان |
| ١٢١ | عذراء الأندلس | للاستاذ أحمد الصاوي محمد |
| ١٢٢ | أشطر من ابيس | » محمود تيمور |
| ١٢٣ | الحكاية الثلاثة | » أحمد الشنتاوي |
| ١٢٤ | قصة المغايرة | لدكتور محمد محمد سلامة |
| ١٢٥ | الصدقة بنت الصديق | للاستاذ عباس محمود العقاد |
| ١٢٦ | من ذكريات الفن والتضام | » توفيق الحكيم |
| ١٢٧ | شلي | » أحمد الصاوي محمد |

نمن النسخة ٦٠ غ. ل.

دار المعارف بيروت

بنية السيلي - شارع السود تليفون ٩٢ صبي م. ب ٢٦٧٦

وحكاية ، وفي رأسه ألف باب وباب ،
وفي اعماقه ألف معنى ومعنى ..

كثير هم الذين لم يفهموا روح
« وسر » ، كثير هم الذين هابوا لسانه
الساخر الذي لم يرحم أحدا بل ظل
يسخر بالجهل أينما كان ، وكيفما بدا ..

كان لاصداقائه حظ كبير منه وكذلك
لتلامذته وفتاده .. لم يأبه لهؤلاء
الخالقين ، ولم يصنع الي الفناد الزنافرين ،
بل منحروا من الناس جميعا .. وما أبدع
التحرر من الناس الذين لا قيمة لهم
فاغترل في مرصه ، وظل مخلصا لريشته
حتى النهاية ، وظل متصمما بوجهه حتى
الموت بالرغم من المتطلبات العنيفة التي
حطمت عظامه ، كلها كانت تحمي صاغرة
امام ضحكاته الساخرة .. اما مبدأه في
الفن فهو ان يحول العلم الى فن ، والفن
الى علم ، واروع علم عرفه الفنان هو علم
الجمال ، لان الجمال هو كل شيء ، في
الحياة ، فكانه ردد قول كينس Keats
في قصيدته المشهورة : « نشيد الآنية
الاخرقية » : الجمال هو الحقيقة ،
والحقيقة هي الجمال .. هذا كل ما يجب
ان تعرفه على الارض ، وكل ما يحتاج
اليه ايها الانسان .

لوحاته كلها تبدو كأنها تأمل في
مرآة ، تحفي انفسها هدفا لروعة الجمال
فيها ، وعظمة الابداع .. ملحمة سوداء
وبيضاء ، امرأة تعزف على « البيان »
ثوب اسود ، وفناء تستمع اليها ثوب
ايض ، كان الوحي من الليل الاسود
والنجوم المتلألئة البيضاء ..

ملحة اخرى يضيء هي طفلة

بثوب ايض هفيف وشعر احمر ..
ملحة الامومة ، محدثا عن والمثة
الثقة المحبة التي ترضى بالحياة كما هي ،
فيها فرح الام وقلقه .. اما ملحمة العقل
فهي محدثا عن رجل العالم الساخر كارليل
Karllye يبدو تنبأ ، غامضا ، مشمرا من
الحياة التي تعد الكثير ، ولا تملئ الا القليل ..

كلا الملحنين تبتريان عن اعماق
الانسان ، توحدان الفرح والالم ،
والتفاؤل والتشاؤم ، والقلب والعقل ..
احدهما يتحد الامومة والثانية تعظم
البطولة .. اما لوحة السبا فتبدو كالسهم
الناري المنطلق من جعبة الليل ، قطعة
ليلية ، مغموسة بالليل ونجومها ..

كان « وسر » يرسم دون ملل ،
يقف متأملا دون تعب ، يسجل ما يحس
دون ان يات ، عبق الليل وهاجته به ، وقد
عبر عنه في جميع لوحاته التي دلفها
بالمحبات والالوان .

اما الفنان ، فلم يكن رساما فحسب ،
بل كان شاعرا ، وصف الليل بقطعة
شعرية رائعة ، لم تكن لوحاته اروغ
منها .. ولانت له الحروف ، كاللانت له
الالوان والالوان وكتب قصيدته :

عندما يسكو الضباب شاطئ النهر ،
عندما يسكوه شراراً كالغلالة الشفافة .
عندما تذوب الاكواخ الحقبية في
السبا البلي ، وتلاشي المداخل الطويلة .
عندما تحول الاكواخ الحقبية الى
قصور شائعة تحت اجنحة الليل كأنها
لاد بعقر

يسير الى يمينه عابر السبيل ، والعامل
والمائل ، والمائل والمنجون ، والحزين
والطروب ، جميعهم يتقطعون عن التغيير

عن الفهم ، بطأ حثون رؤوسهم لاجنحة
الليل ، يذوبون في عالم واحد ..

اما الطبيعة فتبقي ساهرة ، تغتني
للشاعر الشرودا غنيها تاغي الفنان ، لانها
امه ، تشده على قنارها لانها سيدته ..
امه لذلك يحبها ، سيدته ، لذلك
يفهمها ، ويدرك اسرارها ..

ويسمع « وسر » في الليل ألف
ملحة وملحة ، ويسمع في الليل ألف
نشيد ونشيد ، هو رسام شاعر ، قدم
قلبه قربانا للطبيعة الرائعة ، لا موهبته .
وعندما شعر بالصقيع يدب في عروقه
وعظامه ، انطلق الى امه الطبيعة ، الى
سيدته ، ينتقل معها من زاوية الى زاوية
كأنه يشدها اناشيد الوداع ، يتعرج
بشاعات الشمس الدافئة ، كأنه يقبل
شعرها الحريري

احس صقيع الموت في صدره وفي
انامله .. فرك قلبه ، وفرك انامله ، فلم
يسرع قلبه ، ولم تلن انامله ، واسرع
الى مرصه مثقلا بالانشيد والالوان ، وعن
وحمل ريشته ليخفف عن صدره ، وعن
انامله ، ويحط الحبل على لوحته ..

حرك الريشة ، فلم تتحرك .. لم لعب
انامله ، فلم تتحرك .. وضع يده على قلبه فأبطأ
احس صقيع الموت يدب في عظامه
دنيا ، تمهل رأسه ، وتمزت انامله .
سقطت ريشته باكية ، فابتسم راضيا ،
مطمئنا ، ومضى في طريق الخلود ..

عاد « وسر » الى صدر امه وسيدته
عاد الى عالم الليل الازلي ، وانطوت
قهقهاته ، وتكرست ريشته ، وتنام نومة
هادئة ، يلفه الليل باسواده الجليل ..

سريا ملحس

المسؤولية الجماعية في الحالات العادية والتورات

بفهم ريمانه منياس

لياس في الفلسفة والعلوم الاجتماعية



من الهيئة المسؤولة كاحتقارها والخط من شأنها والوقوف من مساكها وأزماتها موقفاً سليماً . وقد تنظمها قواعد وخصوص وضعية . ويوقع جزء مادي على افراد الجماعة او يصيب عقاب جسدي . او ان نحرم الجماعة من الاشتراك في عمل معين يمد الاشتراك فيه شرفاً . او يوقع عليها حصار من نوع معين . وهكذا من انواع الجزاءات المختلفة التي تدل على الفور من جرمهم . ولا يشترط ان يوقع الجزاء على جميع افراد الجماعة حتى تكون المسؤولية جمعة . فقد لا يفخذ العقاب الا على بعض افرادها فقط معتبراً انه لعدة ارتباط الافراد وقوة تضامنهم كما وقع على جميع الافراد . فلها كل قطع البدن كعضو من اعضاء الجسم فهو يشترط عقاباً للجسم كله .

والان للمسؤولية الجماعية صوراً مختلفة من الحالات العادية الا انها تكثر في الحالات غير العادية ويدخل ضمن مفهوم هذه الحالات الاخيرة التورات والاعتقالات السياسية والحروب . وكان هذه الصور المختلفة للمسؤولية الجماعية تبدو واضحة ومتوفرة في مجتمعاتنا الحديثة الراقية - كما سنورد انقله على ذلك من المثالين السابقين - الا انها حقيقة هي صفة من اهم الصفات المميزة للمجتمعات البدائية . وعلى العموم المجتمعات التي تتمد فيها - او تكاد - الفردية Individuality بمناها الاجتماعي الحديث - ويزداد اندماج الفرد في الجماعة حتى لا تصبح له شخصية ذاتية في حالت كفراد قائم بذاته منفصل عن الجماعة . ولما كانت المسؤولية الفردية هي الاصل في مجتمعاتنا الحديثة - فلا تتعدا المسؤولية الجماعية الا في حالات خاصة كالجرائم العنيفة التي لا يتحملها ولا يتقبلها العقل الجمعي او في الحالات التي لا يمكن بها الاهتداء الى المجرم نفسه او التي يصيب فيها عقابه دون يمكن بها الاهتداء الى المجرم نفسه او التي يصيب فيها عقابه دون ان يؤدي هذا العقاب الى المساس بالجماعة التي يتدبر فيها - او في الحالات التي يصيب فيها عموماً معالم الجريمة حتى يمكن ان يفساها المجتمع بسرعة .

نقطة المسؤولية اصلاً الى الشخص الذي تتوفر فيه شروط معينة . ولعل اهم هذه الشروط وهي المتفق عليها في القانون الوضعي الآن هي :

اولاً : ان يكون المسؤول انساناً . وهذا الشرط يفهم ضمناً فالحيوان والجماد غير مسئولين عن الاعمال التي تنتج عنها اضرار . وبالتالي لا يوقع عليها جزاء كالو انها صدرت عن انسان . وهذا امر لبدايته لم يذكر صراحة ضمن شروط المسؤولية جنائية كانت ام مدنية .

ثانياً : ان يكون حياً . فالمسؤولية تسقط بموت المسؤول . ثالثاً : ان يكون طافلاً : فاذا ثبت ان مرتكب الجريمة يشوبه انحراف عقلي تسقط عادة مسؤوليته . ويرتفع الجزاء . رابعاً : ان يكون كامل السن : فالطفلة لا يلد مسؤولاً قانوناً من الاعمال التي يرتكبها بخلافه . انما او تقتصر قانونية او انحاءاً جمياً .

خامساً : ان يكون فرداً مشخصاً : فالاصل ان كل فرد مسئول عن اعماله . فلا يسأل شخص عن خطأ ارتكبه غيره . ولكن بدراسة تطور نظم وصور المسؤولية . نرى خلال التاريخ . وفي بعض البلاد انواعاً من المسؤولية اخذ بها دون توفر هذه الشروط . ويهمننا من هذا البحث بالذات الشرط الاخير وهو مسؤولية الشخص بذاته .

فقد لوحظ ان المسؤولية كانت تقع احياناً على الجماعة التي ينتمي اليها المجرم . ولتتحمل هذه الجماعة جزاء جرم احد افرادها او بعضهم او جزء انحراف في سلوكها العام .

والمسؤولية الجماعية - شأنها شأن المسؤولية الفردية - تتخذ اشكالا مختلفة . فقد تكون مسؤولية اديبة - اي لا تنظمها نصوص وضعية - بل تقوم دون توفر هذه النصوص ويقتصر الجزء على الموقف السلبي الذي يفقه المجتمع او جماعة الرأي العام * يقابل للمسؤولية الجماعية للمسؤولية الشخصية او الفردية .

المسئولية الجلمية في الحالات العادية

ولعل أهم مظاهر المسئولية الجلمية في الحالات العادية والأخذ بالتأثر، والأصل في الأخذ بالتأثر أن يسبق الجرم وحده . ولكن حالة المسئولية الجلمية في الأخذ بالتأثر تظهر إذا ما هرب الجاني من العقاب أو كان غير معروف أو أبت الجماعة التي ينتمي إليها إلا أن تحضنه ورفضت فرزه ليعاقب بغيره . فعدتند تحمّل القبيلة - عادة أو الجماعة كل جزاء هذا الممتدّي . وقد أخذ بهذا النظام في جميع شعوب الأرض تقريباً ولاسيما البدائية كالأمريكيين والاستراليين القدماء . وحيث تضعف سلطة الحكومة على قوس الأفراد وقد ظهرت بوضوح في بلاد العرب وعلى الأخص قبل الإسلام حيث كان الدافع هم دائماً حماية الشرف والجار أو الضيف . وما زلنا نلحس لهذا النوع من المسئولية صوراً واضحة في صعيد مصر حيث تضعف القدرة ويقوى التكتل القبلي أو القروي وتنتشر العصبية بين أفراد العائلة الواحدة . وخصوصاً في القبائل التي تنتشر على جانبي الوادي . على أن هذا النظام في مصر يضعف أو يكاد يندم في المدن الكبرى حيث يتخلل التكتل في الأسرة الواحدة . وتظهر الفردية في علاقات الأفراد وحيث تقوى سلطة الحكومة ، ويسود القانون الوضعي وتضعف العصبية التي تنبذ عادة بها في الأخذ بالتأثر . ويسود مبدأ المسئولية الفردية ، أي مسئولية الفرد عما يفعله .

وقد كانت قوانين الرومان واليونان والصين قديماً تأخذ بمبدأ المسئولية الجلمية في الحالات العادية وفي بعض الجرائم التي تهز كيان المجتمع . فالقانون الصيني القديم قرر الأخذ بها فيما إذا قتل ثلاثة أشخاص من أسرة واحدة وأدى هذا القتل إلى شل مستقبل الأسرة من جهة التماس . عندئذ كان يمدد القتات يبطه . وتوقع عقوبات شديدة أخرى على أفراد أسرته . كذلك إذا قتل أحد الأفراد لاستخدام أعضاء جسده في أعمال سحرية فقد كان يعاقب القاتل وكل من يمت إليه بصله . وكذا من يربي الحيوانات السامة لاستخدامها في جرائم القتل - فتقع العقوبة على جميع أفراد أسرته .

وبجانب جرائم القتل هذه التي تصف بالفساعة ، هناك أيضاً جرائم الحيانة العظمى والاعتداء على المقدسات ومخالفة الأوامر الامبراطورية والملكية ، فكان يعاقب المجرم وأقاربه جميعاً بما في ذلك النساء والأطفال والشيوخ وكل من يعيش معه في المنزل معها كانت سلته بهم بعيدة . وكان الجزاء يختلف بين القتل والرق والتشريد ومصادرة الاملاك والتضي المؤبد أو المؤقت .

وفي المجتمعات الحديثة نلحس بعض الأمثلة للمسئولية الجمية . فمن ذلك مثلاً الميل إلى اعتبار الحزب أو الجمعية السياسية أو الدينية مسئولة بأكملها عن الأفعال التي تصدر منها أو من بعض أفرادها أو أحدهم . فيحكم بذلك عليها بإلح أو عدم مزاولة أعمالها لمدة معينة أو بتجريدتها من حقوقها السياسية أو مصادرة أملاكها . ونلاحظ أن العقاب هنا يقع على الشخص المنوي . فلا يصيب الأفراد بذواتهم شيئاً كأن تمس أجسادهم أو حرياتهم أو أموالهم بالقوة تقع على الجمعية أو الحزب كتمنص منوي الأ في حالات الجرائم أو المخالفات العنيفة التي تمس جوهر المجتمع ولا يستطيع السكوت عليها .

وهناك ميل عام إلى اعتبار الجماعير مسئولة جنائياً عن الأعمال التي تتجبع عن سلوكها العام . ولعل هذا الميل مرجعه الأخذ بفكرة « الأنجاء أو التفكير الجمي » وهي النظرية التي نادى بها علم الأجناع وأيده علم النفس الاجتماعي والتي تقول بأن تفكير الجماعير يختلف عن تفكير الفرد بل قد يساقفه وهو في نفس الوقت يسيطر عليه . ففي حالة التجمهر يميل بعض العلماء مثل Mc Dougl في علم النفس و Durkheim في علم الأجناع إلى اعتبار أن شخصية الفرد وتفكيره ينصرف ويذوب في تفكير وشخصية الجماعة ويصبح ملوب الإرادة وغير مسئول كفرد بذاته عن الأعمال التي تصدر نتيجة للتفكك بل تصبح الجماعة كجمهور مسئولة جنائياً عن سلوكها العام .

وهناك مثل آخر للمسئولية الجمية الأدبية يبدو في ميل المجتمع إلى اعتبار البيئة الاجتماعية مسئولة عن فساد الفرد . أو النظر إلى الأسرة على أنها المسئولة عن فساد أحد أبنائها وكثيراً ما اشارت إلى ذلك أحكام محاكم الأحداث ويقتصر الجزء هنا غالباً على الاحتقار الذي يديه المجتمع لبيئة أو أفراد الأسرة التي ينتمي إليها المجرم .

على أن الأدباء يختلف فيما بينها في تقرير المسئولية الجمية والاعتراف بها قوة وضعفاً فبينما ترى الديانة المسيحية ديانة الفرد - تهتم بالفرد كفرد وتنادي بالمسئولية الفردية المطلقة - فالفرد عندها مسئول أمام الله - عن أعماله . وكذا الديانة الإسلامية إذ قضت نصوصها وتشريعاتها صراحة أو ضمنية بالمسئولية الجمية . فالتا ترى لها مظاهر مختلفة واضحة جداً - بل لعلها هي الغالبة في الديانة اليهودية ، والتوراة مليئة بالأمثلة فما أصاب بني إسرائيل من قحط وضلال وحروب وأوبئة كان مرجعها دائماً خطأ أوجرم أو تكمبه فرد أو أسرة أو تتج عن انحراف في تفكير أو سلوك

جمي . ولعل مرجع ذلك طبيعة الديانة اليهودية وظروف وجودها والاحوال الاجتماعية للشعب اليهودي فالفردي تعتمد لها او تكاد ويبدو فيها سلطان الجماعة على الفرد وشدة الارتباط والتساك بين افراد جنسهم واسرهم .

المسئولية الجمية في الحالات غير العادية

سبق ان ذكرنا اننا قصدنا بالحالات غير العادية حالات الخروج على القانون او النظام العام كحالات الثورات والحروب والقتال وغيرها .

ويتبدو المسئولية الجمية بوضوح في مثل هذه الحالات اكثر منها في الحالات العادية . ففي الشؤون الحربية توقع الجزاءات الجمية في اوسع نطاق . فكثيراً ما يقتل رعايا الحرب لجرم فردي ارتكب في بلادهم ، وكثيراً ما توقع البؤلة المنصورة عقوبات صارمة على مناطق او بلاد او احياء لخالفه بسبب قلة تكون غير مقصودة صدرت عن احد او بعض افرادها .

وحرب البوس التي قامت بين قبيلتي بكر وتعل . وكادت تقضي القبيلتين بسبب خطأ ارتكبه احد افراد اكبر من ذلك ، وقد بدأت الحرب ضيقة الحدود ثم اتسعت واستمرت مدة طويلة . ولعل من مظاهر المسئولية الجمية ما قامته السلطنة البريطانية ضد قبيلة كيكويو في نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، واتت الادعاء المصرية فقد حاصرت القوات البريطانية والبوليس ارضاً تبلغ مساحتها عشرين كيلو مترًا وسافت اماها اربعة آلاف رأس من الماشية واحماها . وهدمت مساكنهم . واعتبرت هذه العملية الحربية من اكبر العمليات التأديبية ضد قبيلة كيكويو منذ اعلان حالة الطوارئ في كينيا نتيجة لثورة احدى قبائل هذه البلاد . وعقب اعلان الفول العربية الحرب ضد اسرائيل واعلنت مصر حالة الطوارئ . والاحكام الرقابة حاول بعض افراد ينسبون الى جمية الاخوان المسلمين القيام باعمال اعتبرت في نظر الدولة والسلطات الحاكمة انحرافا في السلوك العام وادى ذلك الى ان اصدر الحاكم العسكري « التفراشي باشا » امراً عسكرياً مذيلاً بمذكرة قصيرة قانونية بجمل الجمعية وصادر املاتها وشل حركتها وتبع افرادها واعتقل الاثنا منهم ووضعهم في السجون بل كان مجرد ذكر اسم الجمعية يعتبر في نظر المجتمع مصدر قلق وخوف . ولا شك ان هذه مسئولية جمية تحملت لجزء المذبة بأكملها نتيجة لما اعتبرته السلطة انحرافاً في سلوك بعض افراد الجمعية وقتها كانت مصر في حالة حرب .

وابان الناء معاهدة سنة ١٩٣٦ واصبحت مصر في حالة شبه ثورة ضد القوات البريطانية في منطقة القتال وهاجم القدياؤون هذه القوات في السويس حدثت حادث كفر عبده الذي وقع عقب هجوم بعض القدياين على الجيش البريطاني . فقد حاصرت القوات الانجليزية حي كفر عبده في شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ وهدمت منازل السكان وقبضت على بعض الرجال واخذتهم رهينة لتسليم القدياين . وتبدو المسئولية الجمية بوضوح في هذا الاجراء . وفي تصرف السلطات المصرية فيكل الحزب الاشتراكي المصري عقب حوادث ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ بالقاهرة ، اذ اتهمت رئيسه بتحريض الشعب على حرق القاهرة واشترآه في هذا الفصل وقبض عليه واغلقت دار الحزب . وصدرت محضوم محلاته وشردت اعضاءه واعتقلت عدداً كبيراً منهم وكان مجرد الاتساب للحزب او ذكر اسمه يعتبر جريمة في نظر الحكومة كل هذا يعتبر تقريراً للمسئولية الجمية .

وفي ثورة مصر الاخيرة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ظهر انحاء جمية باختيار الاحزاب جيماً مسئولة عن فساد العهد الماضي او على الاقل لفساد والتسر عليه . وقد ترجم قائد الثورة هذا الاجراء فاجدر اسراً لجل جميع الاحزاب المصرية باعتبارها مسئولة عن افساد الحكم . وسودرت ممتلكاتها واموالها وكان هذا مظهر آخر من مظاهر المسئولية الجمية وقع الجزاء فيه على جميع اعضاء الحزب بسبب فساد او اغراق بعض هؤلاء الاعضاء . وظهرت المسئولية الجمية الادبية في اجماع الرأي العام المصري على اذانة الملك السابق فاروق على اعتبار جميع افراد الاسرة المالكة والحاشية الملكية مسئولة ادياً عما اقترفته الملك المزول من اعمال ضد الدستور والشعب والصكرامة الوطنية . ولا شك ان هذه المسئولية وهذا الموقف السلمي الذي وقفه الرأي العام من افراد الاسرة المالكة هو مظهر من مظاهر المسئولية الجمية الادبية عن جرائم ارتكبتها الملك .

وبعد ... فهذه نماذج وصور للمسئولية تبين انه قد تتحمل احيانا هيئة او قبيلة او اسرة او دولة الجزاء نتيجة خطأ او جرم ارتكبه احد افرادها او بعضهم او نتيجة انحراف في سلوكها العام . وهذا ما اصطلاح على تسميته بالمسئولية الجمية .

دعيا ستيااس

القاهرة

1—Fauconnet La responsabilité. 2—Westermarch: التراجع: الاصل والالتزام من الافكار العقلية. 3 — التوراة

التوجيه الفني الحديث في مدارسنا

بقلم السيدة سلوى روضه

٥٥



تكرهوا اولادكم على افعالكم* فهم مخلوقون
لزمان غير زمانكم. هذه كلمة لمي بن أبي طالب
رضي التفكير الحديث عنها، لأن العاقل من عرف
مدى اندفاعه ووقف وعرف متى يسلم غيره لبيد، هذا الجديد
باندفاع جديد، وحيوية جديدة، تلازم مع الرغبات الجديدة،
والعصر الجديد، وإلا ليت مدرستنا واحباب المسؤولين
يتخذون هذا الشعار ككاس لتفكيرهم.

الفن الحديث ليس « موضة » يتبعها الفنانون عن غير
اقتناع بل الفن مظهر من مظاهر عصرنا، هو كثير من علوم
هذا العصر معقد، وبيد بعض البعد عن مفهوم العامة من الناس،
وقل العامة لا تفهمه، فهل يعني ذلك بطلان هذا النوع من
الفن؟ ليس بالسهل أبداً أن يفهم عامة الناس نظرية النسبية ولا
نظرية الـ Quanta المقددة ولا نظرية « الكميات »، وليس
بالسهل أبداً أن يفهم الناس التجارب التي يذل للوصول إلى
النجوم، ولا أن يفهم الآلية التي تشمل لهذه الفاية، والناس
أن جعلوا النظريات فانهم دائماً يمججون وهلون ويتهلون لنتائج..
أما دُعموا من القليلة القليلة؟ أما انهم لا اكتشاف البنية
والراديو؟ أما هلولوا للطائرة.. والناس ان جعلوا الفن
الحديث الحاصل ونظرياته فانهم دائماً يمججون وهلون

ويتهلون لنتائج، فلا يشتركون سيارة الا
موديل ٥٣ سراعين بها أحدث ما توصل
إليه الفن الحديث، ولا يرضون عند شراء
قطعة قماش إلا أن تكون Nouvelle
وعند حمل كرسي لا يترددون عن الرجوع
إلى أكثر المحلات الفنية الجديدة، أو عن
استشارة المختصين لعمل أحدث طراز
وصل إليه الفن الحديث في ابتكار الآلات.
الناس يفهمون النظريات المطبقة،
أي « النتائج ».

* حديث أذيع من محطة الإذاعة اللبنانية.

والناس لا يتفنون دقيقة واحدة للتعلم في أساسها.

وحجة المختصين أو الذين يدعون فهم الفنون بأن الفن الحديث
فن مؤقت، فن صمدت فيه المدارس، فن طرفة لا يمتد إلى الحياة
بصلة أذن فهو زائل، أما الفن الكلاسيكي الذي أثبت وجوده
عدة قرون، فهو ولا شك الفن الذي يجب اتباعه واتباع نظرياته
حقاً أن الفن الحديث لم يمر في اختبار الأجيال لتعرف مدى
صموده، وحقاً أن له ميزة الفلق، والبحث، وعدم الثبوت، وهل
لحياتنا المادية اليوم شبه حياتنا المادية لمخمين سنة خلت، أو قل
لعمري سنة أو لعمري سنوات؟ نحن في حركة مستمرة وتطور
مستمر وحياتنا خاضعة بمحظ نظم جديدة واختراعات واكتشافات
حديثة لتغير مستمر في المعتقد والتفكير، وهل كان الفن يوماً سوى
ذلك الاخلاص في التعبير عن حياتنا المادية؟

لواقعية الفن الحديث هي التي ابعدت الكثيرين عن تذوقه،
فهل يا ترى سيقف الفن عند هذه اللواقعية؟.. الجواب مهم
ويحتاج الرجوع للفنانين إلى الواقعية المتطورة، ولكن رجوعهم سيكون
نتيجة اختبار وتجارب مررت جميعها من خلال تجارب العصر
الذي نعيش فيه، وليس بنظريات القرون الماضية التي ابعدت عنا
واسبغت بفضلة على تجاربنا الحاضرة التي تشغل فنانك النار،
لتنقلي أشتاتاً يشع من نورنا نحن، وبين تجارب اليوم وتجارب
الاقدمين، فترى أساسية من حيث التعلم السياسية، من حيث
الحياة المادية والحياة الأجنبية، من حيث العلوم والانتاج
العلمي، نتجلبنا - إذا كنا مخلصين - أن نرفض القديم، ليس
لأنه غير صالح، بل نرفضه على أساس الاخلاص للمشور الصادق.
إذا فالرجوع إلى الواقعية ليس معناه واقعية مرتكزة على

النظريات الكلاسيكية المحورة، بل إلى
واقعية جديدة صرحت بكل نظريات المدارس
الفنية التي ملأت القرن العشرين.

فأين مدارسنا والتوجيه الفني؟ ومن
هم اساتذة الفن في المدارس؟

يستند البعض أن الفرض من تعليم
الفنون هو البحث عن طلبية موهوبين
ليجعلوا منهم فنانين، ليس هذا هو الفرض
وليس تعليم الفنون إخراج عبقارة في الفن
من المدارس، ولا إخراج تلاميذ يتفنون
الفن بحجة أنهم فنانون، أن تعليم الفنون هو

السيدة سلوى روضه فائنة مروه،
لها أسلوبها الخاص في التعبير عن الحياة،
وفي إخراج تأملاتها على لوحات قوية.
فيها قوة الألوان، قوة الخطوط، قوة
التفكير. وقد مارست فن التصوير في باريس
ثلاث سنوات، وعادت إلى لبنان تحمل
رسالتها إلى أبناء وطنها، وتعمل للمدارس
حيثما أن منى الفنون، وتساعد يد الطفل
البري حتى تتوده إلى لغة الخط والابداع
وعده حلقة من سلسلة أساليب الفناة
في التوجيه الفني الحديث.

عرائس البحر

محمد مفتاح الفتوري

الإسكندرية

✧

ذات مساء كأنما نُصِلتُ سقوفهُ الإجماع بالثرى
وقفتُ بالسطح مثلما وقتُ نهايةٍ في يدٍ للشاد ..
والبحر فوق الفضاء منبسط كأنه كبرياء مغرور ..
والموج في جانبيه أجنحة يبيض .. صماوية التحاير
وكانت قلبي شبيه مسرحة ترف في قبضة الأعاصير
وفي دمي الأدمي طاصفة شلت حساسيتي وتفكيري
لا شيء إلا غمائل عاطفة خافي التجاليد والأساور

وطار في طائر الخيال إلى كون من البحر غير منظور
مثل لي البحر شاعراً حرقفت فؤاده عبقرية المحور
فاعتق الصخر أرغناً ومضى يسرد من ذكريات مهجور
ألف نشيد .. وألف أغنية من وحي مسحورة ومسحور
مثل هدبر الشلال آتية .. وتارة رفة النواصير

صمته تارة يحذني كطائر في الظلام مذکور

عن غايات زلن شاطئه ذات مساء حي الأساطير
من كل حورية ألوهتها تسخر بالحنى والأساور
ظلمن يخلعن فيه أوشحة الضياء .. ووردية الزانير
وبن في حضنه بنسجة تفتتح في أناء بلور
حتى رأين الصباح نافذة تفتح أبوابها يد النور
فطرن نحو السماء ثانية محلقات مثل الشحارير
خلقات ما بين أضله مثل أناء لواء مكسور

وتارة عن صبية عبرت به كتنهيدة الأزاهير
على شراع كأنه حلم جسد رائح التصاور
كأنه والرياح ترقصه أوزة في مياه هاتور
كلت تنفي له إذا اتسكت بمرفقها ليلا على السور
وكانت يسي أحمق فرحتها غناؤه الهاديء التعاير
وفي صباح النسيم مكتمل .. مصعب بالثلوج .. مطور
ألقها لك مرصفا / مراسيا وخلفته إلى السايير
ولم يزل موجه ينأشدها عود إليه من البواكير

وتارة عن ربيع رافضة ذات قوام كآثر مضفور
كانت إذا ما العوالم التحفت اغصان زينة الدياجير
جاءته مثل النسيم قافزة على بساط كالتبر منشور
عارية روحها .. معانقة خياله في اشتياق مهجور
تستلهم الموج وهو منتقل بين ثن .. وبين تكسير
ومنذ غاب الربيع .. وازدجت جوانب الأفق بالأعاصير
لم يجد الموج من عواطفها غير كتاب في الرمل مسطور

واستغرق البحر في تذكره يلاً إذني بالأساطير
حتى رأينا النجوم غارقة في نهر بالضياء مسجور
فماودته ثلوج بقطته ... وعاودتني نيران تفكيري

زقاق المدق لنجيب محفوظ

بقلم يوسف الشاوي



ترجم

نهضة الأدب المصري الحديث إلى القرن التاسع عشر، إلا أنه ما نأ وازدهر إلا في أوائل القرن العشرين فلما كانت الحرب العالمية الأولى وما لها من أثر في تطور الأوضاع والقول كان الأدب المصري قد تبلور وتحدد، فظهرت فئة من الأدباء تأثروا بالثورة المصرية عام ١٩١٩ وساروا نهضة الطبقة البورجوازية المصرية الناشئة التي تشق لها طريقاً، إلا أن البورجوازية الثورية تمتوا أخذت بمقاييد الأمور في مصر وأصبح لها دور رجعي، وفي ركابها سار أكثر هؤلاء الكتاب فاستعدوا عن روح الشعب التي كانوا يستمدون منها سحر تفاهلهم الأدبي في مؤلفاتهم المبكرة.

اخفى إذن معظم الكتاب الذين ظهروا بظهور الثورة المصرية بعد الحرب العالمية الأولى وخلا الطريق، وكان لا بد لفئة جديدة من الشباب أن تحمل هذا الفراغ الشاغر. ووقعت الحرب العالمية الثانية وتأثر جيل جديد من الشباب بما حملته هذه الحرب معها من تطور سريع جديد في الأوضاع والقول، هذا الجيل ما يزال يشق طريقه محاولاً أن يحدد نفسه بين التيارات الفكرية والفنية النقية المتنافسة التي اشاعتها حالة التناقض وعدم الاستقرار في العالم من بين هؤلاء كاتب من انشط كتاب مصر في القرن الروائي في الوقت الحاضر، هو الاستاذ نجيب محفوظ.. تمتاز رواياته جيمناً بأنها تحاول التعبير عن الروح المصرية الصميمية، أحياناً طبقات المثقفين كما في روايته «القاهرة الجديدة» التي يمرض فيها حياة الطلبة الجامعيين، و«خان الخليلي» التي يمرض فيها حياة الموظفين، وأحياناً الطبقات الشعبية الصميمية التي تعيش في أحياء القاهرة المعزبة كما في روايته زقاق المدق التي ستعرض لها في هذا المقال.

وستنكلم عن هذه الرواية من نواح ثلاث، أولها القالب القصصي، ثم عرض لقصة من ناحية البناء السكونية والدينامية ثم نحتم حديثاً بكلمة مازعة عن قيمة المحاولة الأسلوبية في القصة. أما من ناحية القالب القصصي فمحند المؤلف يسير على نهج القالب القصصي للأدب الأوربي من القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، فنحن نجد اغتصاباً أمام حشد من الشخصيات يبرز واحد منها باعتباره بطلاً للقصة لكنه لا ينفرد بها إطلاقاً، بل توجد إلى جانبه مجموعة من الشخصيات تؤثر حياتهم في البطل ويتأثرون به، ويفرغ لهم المؤلف فصولاً بأكملها، وهذا الضرب نجده مثلاً عند ديكنز وتولستوي وزولا، حيث يمرض المؤلف لحادث ما ثم يتركه في الفصل الذي يليه ليعرض لحادث آخر، فإذا كان الفصل الثالث أو الرابع عاد إلى موضوع حديثه في الفصل الأول، وكان أمامه مجموعة من الحيلولة يحكيها في تسليج متناسك، وهذا عكس المحاولات القصصية التي ازدهرت في القرن العشرين لاسيما بعد الحرب العالمية الأولى وإن بدأت قبل ذلك، ونجد خير مثال عند جيمس جويس في روايته «يوليسيس» وفرنجنيا وولف في روايتها «مسز دلاي»، حيث يمرض الكاتب أو الكاتبة لحياة بطله في زمن قصير قد لا يتجاوز الساعات الأربع والعشرين، كما يذكر الاهتمام حول بطل واحد، وبذلك يركز الكاتب أضواءه حول بطل واحد في زمن قصير. ولذلك قصة لا بأس أن نورد هنا، فتحت علم أن اختراع الكاميرا والشرائط المسجل في القرن التاسع عشر قد وجهنا إلى طرق أسهل لتسجيل الطبيعة، إذا كان قهنا لقن هو أنه تقليد الطبيعة على النحو الذي فهمه افلاطون وعرض له في جمهوريته. وفي الوقت نفسه كان علم النفس ينمو موجهاً ضوئاً جديداً نحو عالم غير

مرثي هو عالم اللاشعور ، وهنا وجد الفن فرصته الجديدة ، فلم تند مهمته تحليل الطبيعة الخارجية فهذا شأن الكاميرا ، والترسل المسجل ، ولكن وبه وجهته نحو العالم الداخلي للأنسان ، وعليه ان يسير عن هذا العالم الباطني وما يشتمل فيه من صخب وصدا ، حتى وصل السرياليون الى اقصى الطرف حين مضوا يسيرون عما كتبه في عقولنا من فزع شائنا بسبب ما في عصرنا من احداث وقلاقل وبهذا اصبح الكاتب يكتفي بفترة زمنية قصيرة تارجح بين الوعي واللاوعي وبطل واحد ، ذلك لان عالمنا آخر داخليا قد انبت اماه وعليه ان يتنبه في دقة وحق وبراثة وحذر . الى جانب هذا نشأ أسلوب عرض له الآكاتب الفرنسي الوجودي بول سارتر في بعض قصصه ، وبني فكرة التقاط العرضي ، فبينما كان الكاتب حتى اوائل القرن العشرين يزل خطياً واحداً من سلسلة الحقائق المتشابهة ثم يتنبه في الزمن الطويل وقد انتظم فيه عدة اشخاص ، نرى كتاب القرن العشرين يركزون اللحظة ويسبون عما فيها من أكثر من حدث . نحن المسروقة انه بينما يموت شخص يولد آخر ويتزوج ثالث وهكذا ، وهم يرون ان هذا التأثر الزمني اقرب الى التعبير عن روح عصرنا المزدحم بالحوادث الكثيرة المتطورة في الواقع الخارجي ، وفي نفس المرد على السواء . الى جانب هذا وذاك نجد الاشلوب المعروف بأسلوب النولوج الداخلي ينتشر ويشمد لانه اقرب الاساليب للتعبير عن هذه الزحمة في اللحظة الزمنية المركزة . وقد حاجم الاشتراكيون هذا الأسلوب ، بل حاجوا اكثر هذه الانحازات باعتبارها تمييزاً عن انطواء الفرد في مجتمعات منحلة ، ومع ذلك فانني ارى اسلوب التأثر الزمني يوضح الاساس البشري التي تبرز فوق شخصية البطل وهذا ما يربط بين البيت والفرد بما يؤيد فهمهم لاضلاع الاور.

انما عقدنا هذه الصفحة السريعة من المقارنة لعرف ان تقع زقاق المدق من الادب الثري الحديث ، ولهذا فن الغريب حقاً ان ترى كاتباً مثل طه حسين يكتب * قائلا بان زقاق المدق تذكرنا بدهب الكاتب الاسريكي دوس بلسوس ، والكاتب الفرنسي « جان بول سارتر » ، وليس لنا من رد على عميد الادب العربي الا بان نقول ان اكثر الروايات الغربية الحديثة تبدأ من القضية على حساب الشخصية كما في روايات فرانز كافكا وسارتر والبير كامو وريتشارد رايت ، بينما نجد ان زقاق المدق ما تزال مع

* صحيفة الاهرام العدد ٢٤١٤٣ بتاريخ ٢٠ ديسمبر عام ١٩٥٢

غالب القصة في القرن التاسع عشر حيث يوجد حشد من الشخصيات واستمرار في الزمان وتصور يكاد يكون اميناً في تقليده لطبيعة حتى لكأن احداث القصة في بعض مواضعها يمكن قراءتها كخبر من اخبار جريدة يومية ، ولعل دستور فكي كان واحداً من قلائل ثاروا على هذا القالب ومهدوا الطريق لكتاب اليوم .

ولعل هناك رداً على ذلك هو ان المؤلف اراد ان يصور حياة الزقاق نفسه بما فيه من خير وشر فالمقصود هو الزقاق لا هذا البطل ولا ذاك ، وهذا لا يضر من الرواية لانها في الواقع تنظم في سلسلة منطقية بالنسبة للتأليف الروائي العربي عامة والمصري خاصة .

وليس لدينا من المجال هنا في التحدث بالتفصيل عن شخصيات القصة الا اننا نستطيع ان نقسمهم الى مجموعة الرجال ومجموعة النساء . اما رجال الزقاق فهم الجانب الذي يمثل الطبيعة والحير وفهم الجانب الذي يمثل الاعراف والشر وطلعا عباس الحلواني الحلاق بالزقاق يصلح بين هؤلاء وهؤلاء .

فهناك رجل كامل النفع البسوسة فبصوته الرفع الذي يمثل السذاجة ، والقنوة على شخصيته ويرمز اليها ، اما السيد رضوان الحبري فهو رجل يحب الخير ويزداد صنمه وشاوجالا قد عقدت له ولاية الزقاق المافية اي الولاية التي يشتملها بحق بما صنمه مع اهل الزقاق من صنع الجليل ، في مقابل الشيخ درويش الذي يشتمل ولايته من سذاجة اهل الزقاق وطيبهم اصكر كما يشتملها من ذاته وداخله والعاة لانه اما ذاهل صامت ، واما مرسل العول كما يجب لا يدري اين يكون موقعه من النفوس .

الى جانب هؤلاء توجد اربع شخصيات اثار حولها كثيراً من اللفظ وكثيراً من المشاكل بسبب انحازاتها ، فهذا الممر كرشه صاحب القهوة تاجر مخدرات وفريسة الشفوذ الذي كثيراً ما سبب الشجار بينه وبين زوجته ، وهي امرأة قوية لا تنقصها اسباب الجرة متى تجاوز الحد . ثم هناك السيد سليم علوان صاحب الوكالة وهو من اغنياء الحرب نهاره نهب الوكالة وليفه خال عما يتسلل به امثاله من الناس فلا نقوة ولا ناد ولا ملهى ولا شيء مطلقاً الا زوجة ولذلك تلقى في مسراه الزوجية قنناً تذ بها عن جادة الاعتدال . والى جانب هذين الشخصيتين يوجد شخصان ارتبطا بعير واحد ، احدهما يظه صانع الماهات

ويقصده الراغبون في احتراف الشجاعة فيصنع لكل ما يرافقه جسمه من المعاهدات حتى يستمر عطف الساس ، وكان يسكن خرابة تزورها من جمده الغران وزوجه حسنة . وكان يله ان يشاهد من قف الباب انبساط هذه المرأة على زوجها بالضرب حتى ينهبها الى الصفاء . وكان مصاباً بذلك الانحراف النفسي الذي يجعله يستلذ تذيب فريسته وهو يصنع لها المعادة . اما صديقه الدكتور بوش فكانت عمله الظاهري خلق انسان اهل الزقاق باسار وخيصة ، اما سبب هذا الرخص فهو ان هذه الانسان التي يركبها انما يسرقها من جيش الموتى .

اما لساء الزقاق ، فالى جانب زوج الملم كرشه وحسنة الفرة فاتها نجد الست سنية عتيبي صاحبة البيت الذي يسكن « الدكتور » بوش طابقه الاول ، وهي في الحسب من عمرها يرادوها دائما اهل الزواج بعد التزل ، وكانت تسببن على تحقيق هذا الامل بالست ام حيدة الخاطبة التي تسكن ايضا منزله وهي ذات صوت غليظ فاذا تحدثت فكأنها زرع وهو سلاحها الاول فيما يتجرع بينها وبين الجارات من زراع . اما ابنتها حيدة فكانت في العشرين من عمرها ، وهي بطلة روايتا بلا منازع ، وكان غضبا مما لا يستأن به ، وكانت مصابة بذلك الشدود الذي يجعلها تنلس انامل الحب خلل القفكات والصفحات . اما حسين كرشه شاطر الزقاق فقد نشأ مع عباس الحلو بطل قصتنا - وان لم يكن له في الزقاق بطولة - وثلا اصدقاء . حتى بعد ان فرق العمل بينهما . وقد اغتنى ايام الحرب حين عمل مع جنود « الحلفاء » فرفه عن نفسه بجماس فاثر لا يعترف بالحدود وارتاد الملاهي وهاجر الحر ورافق النساء ، ونسبت الممارك بسبب ذلك بينه وبين ابيه . اما عباس الحلو فكان ودعاً ميالا الى المهادة والمصاحبة والمسااة ، محافظاً على صلاته وصومه .

تلك هي الشخصيات التي ازدحم بها زقاق ، وهي شخصيات - كما رأينا - جمعت بين الحليقة والقداسة . الحليقة التي تخلفها طبيعة الحياة التي يجهاها هؤلاء القوم ، والقداسة التي لا بد من وجودها للتكفير عن هذا التمر المتستر بينهم ، وبذلك يكون هنالك توازن بين قوى الخير والشر . فالزقاق ليس الا صورة مصغرة للعالم الذي نعيش فيه ولنفوسنا فيه جوانب الضوء وجوانب الظلمة .

وزقاق المدق من الناحية الدينية يتكون من خطين لا يجمع بينهما الا الزقاق ، يمكن لكل منها ان يستقل فيكون قصة قائمة

بذاتها ، فالوحيد الذي الواحد منها غير متوقف بالضرورة على وجود الآخر ، انما هي رابطة التشابه والتجاوز التي تجمع بينهما . اما الحليقة الاول فيتزعمه زبطه صانع المعاهدات والدكتور بوش . والحليقة الثاني يتزعمه عباس الحلو وحيدة . وشخصيات القصة تضطرب بين هؤلاء وهؤلاء . لقد كان زبطه صانماً للمعاهدات ، وكأنما يريد الكاتب ان يذكرنا اننا في هذا المجتمع لا نستطيع ان ننشق طرقنا ونحن سباح ، فلا بد من وجود المعادة في جسمنا او في اخلاقنا . ومع ذلك فان نهاية زبطه لا علاقة لها ابداً بهذا العمل الذي وهب حياته عليه ، لقد قبض عليه في ليل احد الايام وهو يسرق طمناً ذهبياً من جثة عبد الحليد الطالبي تاجر الدقيق بالمبيضة ، وكان معه الدكتور بوش . وكان ذلك نتيجة طبيعية لان الحرب وهي صناعة التشويه على نطاق الجملة ، كانت قد اخذت تناقض زبطه عمل حياته ، ذلك العمل الذي كانت فيه مهاراة الفنان وهويته . وهكذا اخفى رجلاً من الزقاق . وهنا نجد دور الولي الذي يقوم بالتكفير عن هذه الآثام ، فجدد السيد رضوان الحسني يقول ليله قيامه بالحج « ولا اكتمل ما سادة ان شعوره بالذنب داخلي لان احد الرجلين كان يقنات على الفتاة... فلشد ما ذكرني جوعه بجسمي المكتنز وجوبي المتورود حتى استحوذ على الحليقة ولبني الشجيرة ، وقلت لنفسي متفرزاً : ماذا فعلت ، وقد آتاني الله غيرة كبيرة » - فدفع البلاد ، التخفيف من وقته ! ألم اترك الشيطان بيتاً بأهل جيرتي وانا ذاهل عنه بسروري ولطمأيني ؟... واستمرخني الضمير المذنب ان الي النداء القديم ، وان اشد الرجال الى ارض التوبة مستغفراً حتى اذا شاء اقدان اعودت بقلب طاهر وجعلت من قلبي ولساني وبدي اعواناً الخير في مملكة الله الواسعة . وهكذا نرى كيف تتصارع جوانب الخير والشر في هذا الزقاق وكيف يريد كل منها ان يكتب له النصر الهائي ، فاذا وقع الشر فالجانب الخير مستمد دائماً لان يكفر عنه .

اما الحليقة الآخر والام فاتها نرى بطله عباس الحلو شخصاً قائماً راضياً بحياته ، لولا ان عاطفة توهج في قلبه نحو حيدة ، وحيدة فتاة طموح لا ترضى بهذا الرضا ولا هذه القناعة او هي لا تحب الحلو ولا تمناء ولكنها لا تصده ولها تسرها نظراته المشوقة . وحسين كرشه صديق طفوله يصرخ فيه : انت لم تولد

● انظر مجلة الاديب السنة الثامنة الجزء السادس صفحة ٢١ تحت عنوان زبطه صانع المعاهدات ليوسف التاروني

بسم الله . قلت ، ماذا شئت ؟ ماذا رأيت ؟ سافر سافر ، الجيش الإنجليزي كثر لا يقنى . وهكذا نجد اقرب الناس الينا ، اكثر الناس مشاركة في مصيرنا . وهكذا ظفر الحلو الزقاق وان لم تقادره طبيعة الرقاق السكية الناعمة ، فهو ينادره على ان يود اليه ، الى اهله وقتائه ، ولم يدرك انه قد غادره الى الابد ، وذهب الى التل الكبير بقصد شرباً عما يكسبه في عمله بالجيش لكي يحصل الى حبيده ما يرضى امامها وغرورها . اما حبيده فقد عرض في حياتها ثلاثة رجال : اولهم عباس الحلو . وقد ارتفعت لانه لم يكن امامها خير منه . ولذا لما كان اسهل التخلي عنه لما اختفى عن عينها حتى اصبح املاً باهتاً ورأت في الزواج منه طريقاً الى مصير يشابه النساء الاخريات اللاتي يبدن زحمة من الاطفال يكون الطوار ماوهم . فان عرض لها السيد سليم صجان صاحب الوكالة ، وهو رجل كبير رب اسرة كبيرة ، حتى ليست الحلو ، فنها الجاه المرضي ، وبالتالي السعادة المرضية . وهكذا لم تكن حيدة الا لتخل جزءاً كبيراً من لسان مجتمعنا عن علم ان المال هو وحده الطريق الى القوة . حيث توجد القوة توجد السعادة ، وكثيراً ما تذكرنا بادريانا بطلة البرنو مورافيا في قصته « امرأة من روما » حيث يقود الطلوع في قفلاتها المحتوم اسباب الرغبة والتورط مما . وهكذا تركت حيدة الحلو . رغم شبابها وتعلقت بالسيد سليم . رغم شيخوخته ، ولو قدر للامور ان تم على هذا النحو لما تم المصير الذي قدر على الحلو . وعلى حيدة ان يسيرا نحوه . فاما لبت ان تزل به مرض خطير . وما لبت ان عرض لها شخص ثالث ، ليس من الزقاق ولا يعرف الحلو . ولكنه مجرد رجل يسمى في سبيل عمله الخاص . وكان الحلو بالنسبة له اعراض صغير كان السيد سليم علوان قد مهد السبيل من قبل لازاحته . ذلك هو فرج ابراهيم وحمله ان يهيئ التفتيات لدور الملاهي والحانات التي يرثاها الجنود الاجانب ، وبواسطه خرجت حيدة من عتمة الزقاق الى افق الحياة الالهية الواسعة ، فان طر الحلو حتى صدم صدمة عنيفة ، ومضى يبحث عنها هائلاً في شوارع القاهرة حتى التقى بها فجأة . واستباحت ان تحول قصته عنها نحو فرج ابراهيم ، الرجل الذي خدعها كما تدعي ، واوعزت اليه ان يقتص منه وتواعدت معه على يوم تلتقي به في حانة من حانات القاهرة . حيث يكون فرج ابراهيم هناك . لكن اليوم الذي تم فيه مصير الحلو لم يكن ذلك اليوم الموعد ابداً* بل تقدم الحلو في غير

المجاد المصروب ليري الحانة لصديقه حسين كرشه . وقبل ان يتم الظلام وتقع الأمساء كان قد لاح بصيص من الضوء . كان جانباً خيراً يكافح الى آخر لحظة قوى الظلام المظلمة المناهضة . كان السيد رضوان الحسيني قد اعظم الحنج وجعل يلقى نصائحه هنا وهناك ثم التفت الى عباس يطلب منه المودة الى التل الكبير والايأس أو يضرب . كان هذا آخر بصيص من النور بدا . الا انه ما لبت ان خبا وتدرج الحلو مع صديقه كرشه نحو الحانة ، وهناك رأى فتاة بين الجنود الاجانب في وضع اثار فيه ماغير مجرى حياته تغييراً جوهرياً وقاطعاً وحقيقياً لأول مرة . في هذه اللحظة حصل الحلو على قد منحروه وكأنه منحرونا معه فخرج عن وداعته وجنبه وحرصه المستمر على حياته الزينة ، حتى بدا امامه حسين كرشه شاطر الزقاق قزماً مشيلاً ، ذلك ان الحلو كان قد امسك بزجاجة من زجاجات الطمر الفارغة وضرب بها حيدة حتى سال لدم من وجهها ومضى يضرب بقية الموجودين الذين ما لبثوا ان تناولوه بالكلمات والركلات ولقزجاجات حتى فند الحياة ، ولم يكن هنالك قاتل واحد ليقبض عليه ، ذلك ان المسئولية لم تكن مسئولية فرد بل مسئولية **الحلوة** من صديقه حسين كرشه وقتائه حيدة الى الذين اعلى **الكرام** **والجنود** الجنود ان يكونوا بالحانة ليلة الحادث . ان موت عباس الحلو موت درامي بالمعنى التام لهذه التكلفة ، فتمتد يبادل الصراع بين الانسان والقدر تبلغ الأمساء قفلاً ، ولقد اتصر الحلو في اللحظة التي يبدو فيها انه قد هزم ، لقد فقد حياته لكن قددها كما يفقدها جندي بطول ، لانه اتصر بموته على قبود الضعف والتردد الهزيمة التي كانت تلهع الحركة . ان تعجب محفوظ لا يورد شيئاً من هذا التفسير ، انه يسرد الحادثة مع شيء من التفاصيل يطعها بصفتها الروائية ، لكنه لا يطعها شيئاً من التفسير الفلسفي . وقد قال ان هذه مهمة النقد ان يفتح الاعين على شتى التفسيرات للمادة التي يقدمها لنا الفنان حتى انه احبنا ما يوضح تفسيرات لم تكن لتخطر على فكر المؤلف اطلاقاً . وهذا صحيح الى حد ما لكنه ليس صحيحاً على الاطلاق ، فلا بد من ان يكون للكاتب فكرة حلته على ان يختار هذا الموضوع دون ذلك . فالعالم مزدهم بالاحداث لكنها لا تختار منها الا تلك التي تحمل في طياتها معنى انسانياً ونحن

* انظر مجلد الادب السنة السابعة الجزء الثاني عشر صفحة ٢٠ تحت عنوان « مصرع عباس الحلو » يوسف النصاروني .

نهبها هذا المعنى لئلا وجودها التبرير .

هذه النهاية الدرامية لبطل محمدا على ذكر كلمة عن فكرة البطل عند نجيب محفوظ . فالبطل عنده في أغلب رواياته - ما عدا الروايات الفرعونية - شخصية ضعيفة . ونحن لا نلزم الكاتب ان يجعل بطله شخصية مثقاة قوية ، ولكننا نطالب الفنان ان يبرر عن كل جوانب الحقيقة لا عن جانب واحد منها ، فحين لا نستطيع ان نتجاهل الأثر الذي يتركه دائما نجيب محفوظ في نفوس قرائه ، قصة بند قصة ، وهو اثر متشائم نحس بمدى النفس بالفرقة والمزال . عباس الحلو مثلاً ذلك . ولكن وضع المسألة اكثر نذكر بطلا آخر له هو بطل قصة السراب مثلاً - كامل رؤبة لانه وهو شاب عاش في احضان امه وارتبط بها في طائفة شاذة بحيث لم يعد يستطيع الانفصال عنها . ولما تزوج لم يستطع ان يتصل بزوجه فيما استطاع ان يتصل بامرأة دمية ، وتنتهي القصة بخيانة زوجة له ، ثم موتها في محاولة اجهاشها لاختفاء خيانتها ، وهذا تماماً وكما حدث لياس الحلو في الهبة بعد تردد وضعه المستمرين ، نجد ان بطل السراب قد قرر ان يفصل عن امه لأول مرة في حياته قائلاً لها اذهبي الى اخي او الى اخي واحبيني منذ اليوم في عداد الاموات . يوليها طهرى ونجيبها يقرع ادنى . وهذا أيضاً نجد ان هذا البحر لم يكن بلا حجر . فان امه لم تستطع ان تتلقى الصدمة ، وكانت مرافقة لها . فمادتها التوبة وماتت وليس لدينا المجال لكي نخمل بطل كل رواية من روايات المؤلف ، انما يكفي ان نذكر هنا ان البطولة الفنية عنده في هاتين القصتين هي فكرة الضعف الذي لا يريد ان يتحدى القدر ولا المجتمع ولا البيئة . والظروف ، ولكنها في النهاية ، وبعد فوات كل شيء ، يحدث لها تغير لحظي ، وتكون النتيجة انها تدفع تمماً فادحاً قد يكون هو حياة البطل نفسه كما حدث للحلو . ان العمل الفني الخالد لايهم ان يكون بطله اميراً او شحاذاً او تكون نهايت الموت او زواجه زوجاً سيئاً . انما هو ممتاز قيل كل شيء ، بان يكون البطل مكافئاً ان اسلوبه في الحياة هو الذي يعطيه القيمة الدرامية اولا وقبل كل شيء . ولهذا وحده نجيب يوديب وفلورست وهاملت ودون كيشوت ونهاية عباس الحلو .

بقيت كلمة اخيرة عن الاسلوب في زقاق المدق . ونحب ان نقول بان هناك مشكلة تواجه كتاب العرب اليوم ، فهم يتأرجحون بين الفسيفساء القصصية والفنانية . فالفارق بين الفسيفساء

بحيث اتان نجد كاتباً مثل تيمور بولف مسرحية بالفصحى ثم يترجمها الى العامية . ولنا نعلم ان اللغة العربية الفصحى ستتموت كما ماتت اللاتينية مثلاً لان القرآن مكتوب بها بحسب ولكن لان اقتدار المدارس من ناحية في العصر الحديث يمتد الفصحى من جديد بين جماهير الشعب وبذلك لا يتركها لقانون التطور الطبيعي الذي كانت تعرض له اللغات القديمة ، ومن ناحية اخرى فان اختراع المواصلات وسهولتها بين البلاد العربية المختلفة خفف من حدة العامية بين طبقات المثقفين خاصة . ولهذا فان الكتاب لا يكررون في التنخل عن الفصحى ولكنهم يواجهون المشكلة بطرق مختلفة . فتتبع الحكيم في كثير من رواياته كودة الروح وبوميات نائب في الارياك اذا اتى الحوار سجله كما هو بالعامية وذلك جرياً على عادة كثيرين من المؤلفين الاوربيين ، والمنازلي حاول ان يستعمل كانت فصحي على لسان العامة بدلا من استعمال كانت فصحي غير مألوفة ، فهو يستعمل كلمة الدكان بدلا من الحانوت والشباك بدلا من النافذة وأبوس بدلا من اقل وهذه الكلمات تجمع بين الفصحى والعامية التي على كل لسان . ونجد كاتباً مثل طه حسين تقادى الحوار تقادياً تاماً في جميع النواحي ، فكل شخص من كل شخص روايته . ولما كانت الاساليب محفوظة عن الطبقات الشعبية التي لا تتكلم الا بالعامية ويريد التعبير عنها بالفصحى ، فقد واجهته المشكلة بالضرورة وحاول ان يجد لها حلاً وسطاً ، ذلك بان يستعمل في أغلب حواراته كانت فصحي لكنه يعطها التركيب العامي . مثال ذلك : حمد الله على السلامه ياس السيد - ذا يوم ايض سوا الله والجبن ما يساوي الزقاق من غيرك قشرة بصله - فك بافية - حلفك بالحسين الا ما جلست - استنوا عنه يا ممل - هربت وحياتك غواها رجل فاكل فيها وطار .

هذه عدا مجموعة هائبة من الامثال المصرية حتى ليزكرك داتها بلجو الذي تمشي فيه ، وقد نجح في ذلك الى حد بعيد ، ولكنه قضى على التعبير العربي الكلاسيكي .

لكن هذا جسيم لا يتقص من ذلك العمل الضخم ، حتى اننا اذا استنطنا ان نقول بان عودة الروح لتوفيق الحكيم هي اعظم عمل ادبي في مصر قد انكست فيه آثار الحرب العالمية الاولى ، فاننا نستطيع ان نقول كذلك ان زقاق المدق هي اعظم عمل فني مصري قد انكست فيه آثار الحرب العالمية الثانية .

يوسف الشاروني

القاهرة

في المنفى

من ديوان « ابريق مهشة » تحت الطح



المسجد المهجور والليل الموشح بالنجوم
تتشابه الاشباح في ابعاده ، ويحوم يوم
... طلل ويوم ...

ولهيب تنور تراقص في وجوم
وخيال امرأة وراء حديقة الموتى يحوم
- ماذا تروم ؟

« مني ومن طللي سدوم ا
الشوك يورق كالصنوبر والكروم
إن باركته يد رؤوم »
- ماذا تروم ؟

« نعشي ستحملة الرياح مع الغيوم
عبر التخيوم ، مع الغيوم »
وانا واحلامي الكسيحة والنجوم
الشوك والاموات والطلل المصدع والنجوم
نبكي ونضحك ثم يدركنا النهار
فنلوذ في ظل الجدار
عشنا نحاول - ايها الموتى - الفرار

اليوم ينمب والدروب الموحشات على انتظار ...

تبقى هنا .. يا للدمار ا

اليوم ينمب في احتقار

بالامس كان لنا على القدر انتصار

واليوم نخجل ان وانا الامس في ظل الجدار

هذي القفار بلا قرار

الليل في ودياتها الجرداء يفتقرس النهار

تبقى هنا ؟... يا للدمار

عشنا نحاول - ايها الموتى - الفرار

من وحشة المنفى البعيد

من غلب الوحش العنيد

الصغيرة الصماء للوادي يدحرجها العبيد

« سيزيف » يمت من جديد

في صورة المنفى الشريد

- ماذا تريد ؟

« القمح من طاحونة الاسياد يسرقه العبيد »

اليوم والصمراء تصرخ ، والنحي : ماذا تريد ؟

« الورد لا ينمو مع الدم والحديد »

طلل ويبد

تقضي بقية عمرك المنكود فيها تستعيد

حلماً لماض لن يعود

حلم العهود التابلات مع الورود

كانت حياناتك من جليد

ولتبق - رغم اشعة الحب المذبية - من جليد

في وحشة المنفى البعيد

في وحشة المنفى البعيد

عبر الوهاب البياني

بغداد

بكسل، وبدلها الماء في الخارج من وراء شباب
خفيف. الشارع المزدهج بالسيارات وقم البنايات
المنخفضة بريق من الشمس واماوج الناس على الرصيف ورقية
الشقق الازرق وراء واجهة المقهى، وهناك في زاوية صغيرة،
زاوية صغيرة مظلمة من نفسها احست شيئاً - عوت «اوي» هالهار
شعلوله. كان اطول من نهار الشتاء، وكله انتظار. دقائق مستطيلة
هيمقة مليئة بالانتظار المل. وكانت تمر متعبة من واحدة الى
اخرى - يبطء شديد. من واحدة الى اخرى.

استرخت على الكرسي. ومدت ساقها تحت مريح المائدة
الصغيرة. كانت قد حاولت مرارا بين فترات العمل. اغمضت
عينها واغلقت نفسها واوغلت بعيداً بعيداً ولم تعد بشيء. لند
سكنت مثل سكوتها في الصباح - خط مستقيم تحت الحاف يداه
معدودتان فوق صدرها. وقدماها دافيتان متماثلتان ومن ثم....
اوه لا تدوي كيف حدث ذلك. لا يمكن لا يمكن ان تنسى
مدى العمر. ولكنها حاولت بكل
قواها طوال النهار ولم تعد بشيء.
نظرت في قرص الساعة الضيق

برهة طويلة. بعد قليل سينتهي عملها في المقهى
وتعود الى البيت. وذكرت بسرعة الاحاديث المليحة
بالوحل والزقاق الطويل ويجري السيلان في
الوسط والبزل الذي تسكن فيه ودرجه الحُبيري - كسوم من
تراب وضع طابوقات متأكدة وخرايش اقدام حانية وطين.
وكان الطين في كل مكان. في الحوش. في غرف الزل جميعها.
وعلى وجوه اخوتها الصغار واطرافهم الماروة وفي الزقاق وفي
كل زاوية من حياة اهل. خلاله يتساقطون ومعه يكون طعامهم
وعليه ينامون ويمشون. وبدلها العالم كله كسنة واحدة..
كسنة جبارة مخيمه سوداء من الطين.

اوف.. ربي «توارد اليها صوت اشبه بالشخير. هنالك
رجل اشيب يغمض الشاي وحده. التفت يبطء. ولم يكن في
المقهى نفر كثير. في الزاوية البعيدة قنن وقتاً يتحدثان بهس.
وحول المائدة المجاورة «الاستاذ» يقرأ جريدة مسائية
وصاحبه يدخن سكاره ويتأمل يدهوه. وكان
خليل - عبناه شاخصان الى الباب يترص بالقادمين
من مقدمه المجاور للتلفون لينقش عليهم حال
جلوسهم. كله انتباه واصفاء وحساسية غريبة.

كان اقه المفرطح واتفأخشا خديه تذكرها دائماً يمض كلاب
الانكليز. رأت مرة في السبنا سباق للكلاب. وذكرت خليل..
تصوره المسكين يركض مع الكلاب ويتبع معهم. تماماً كانه
واحد منهم. واخذت تنساب تحسكة مفاجئة تريد ان تخرج
وتتفجر في سكون المقهى. انصرفت التديل المون بشدة في
راحة يدها وذهبت تتمايل الى الباب الزجاجي «جريدي..
ولك جريدي جيب لي الكواكب» واطلقت محسكة طويلة رقراقة
على رصيف الشارع. ارتفعت كالسفة الحيفة. ودامها خجل
شديد. هل معها احد؟ لم يكن. لم يكن يلبق بها ان تضحك
هكذا. اخفت فيها بالتديل وعادت مسرعة الى مكانها من المقهى.
كان «الاستاذ» ينظر اليها. كان ينظر عبرها دائماً هذه الايام..
وكانه لا يراها. لقد ازاح الجريدة قليلا ونظر - خلالها لحظة
خاطفة ثم عاد الى المطالعة. شدا ما كانت تنجذبها نظراته اول عهداها
بالمقهى. كان يصوبها دائماً الى موضع ما من صدرها ولم يسكد
يرى شيئاً آخر منها. يجلس دائماً
الى هذه المائدة التي تجاور مائدتها.

وحسب اليها يدهوه. نظرة مستقيمة
واحدة. ولقد سمته مرة بمحدث صاحبه حديثاً
ألمياً طوية. ونظر نحوها ثم افرج
الستره عن صدره.

- شوق.. هيلو أكبر مودوسي أكبر؟

- مو بعدها صغيرة

- شنو صغيرة. مو قل من سباطمش سنة. لاسكن هي
هيجي خلفتها.

- لو تخيلنا

استرسلا في تكات ماجة لا تريد ان تذكرها. وقال
الاستاذ عبارة بذية جرحتها بقسوة. جرحتها في الصميم
وأنتها طويلا. دهشت كيف تصدر هذه العبارات من مثل
هؤلاء الاقديمة المذهين. ابوها على لفظاظته لم يقل هذا مثلها.
كان قد غرق شيء فيها. غرق بشدة واحد جرحاً حقيقاً.
ولم تم طوال الليل. كانت تبكي تحت الحفاف بصوت مخنوق.
وفي الصباح اعتمدت الى طريقة تذود عنها
نلك النظرات المستقيمة الواخزة. لقد ذهبت الى
المراحض ودست بعض الحرق في صدرها واحست
بأرتياح قليل. ومع ذلك لم تذكره الاستاذ. لم

العامل والجري والربيع

بالحمد لله الملك خوري



تكرهه قط ولم تضره له حقداً في قلبها . انه يجلس هنا امام مائتها كل مساء يطالع جريدته ويحدث صاحبه بين فترة وفترة . ولطول ما نظرت اليه تستطيع ان تلمس عينها انى شامت وتخيله بكل ملامحه المأداة الجميلة .

تثابت مرة اخرى وفتحت عينها على الحزاة الزجاجية المليئة بالمعجنات . كان وراءها الشارع والابنية المقابلة والمساء . وكانت قائمة طويلة من السيارات تمتد - لا تدري الى اين - تنتظر اشاراة المرور . واعلانات الكوكاكولا توميء قانيتها الكبيرة المائلة نحو الشمس الآخذة بالرحيل . وغاية من اثمار المونة تبدو في لمعة الضوء الاخيرة بهيجة شبيهة على رفوف الدكان المفتوح . فكرت لو تستطيع ان تشتري شيئاً من هذه الثياب لآخرتها الصغار . ولكن لم يكن هالك ما يكفي في جنتها الصغيرة السوداء ولا تستطيع ان تستدين من خليل . لقد حاولت سراً قبل ذلك دون جدوى .

بدأت اقدام وانية تتجه يدهو نحو الباب . كان الرجل الاشيب يغادر المقهى . والنهار المنعب الطويل اوشك ان ينتهي . وارادت ان تعجز للمرة الاخيرة في الزل . في الغرفة المستطبة المشتركة بين جميع افراد المائلة لن تستطيع ذلك . اخوتها الصغار متناشون في السرير الذي يضمهم جميعاً - قرب سريرها . وابوابها المجلول يشن في الفراش ويدمدم مع نفسه الى ساعة متأخرة . وخالها ما تنفك تبحث في هذه الزاوية او تلك - شعرها الففوش دائماً يغطي شطراً من وجهها المجدد . وعينها المطبوعة بتلجج في السلام كحمامة يضاء . ويحفل لها احياناً انها لا تستطيع حتى ان تستفسر في تلك الغرفة المتسكفة ذات الهواء الثقيل .

استرخت على الكرسي واهمضت عينها . وحاولت للمرة الاخيرة . لا . لا يمكن . هنا ايضاً لا يمكن . كان خليل بعيد نظام المقاعد في ضجيج . يفعل ذلك باصرار غريب وراء كل من يغادر المقهى ويثير ضجة لا ضرورة لها ثم يعود الى مسيدهم قرب التلفون . اوه كم تمنى ان تمنى لو تبسق على وجهه المنتفخ البشع الذي يذكر بعض كلاب الانكليز . اشاحت عنه ونظرت الى الخارج بحثي . كان الباب مفتوحاً . لقد تركه الرجل الاشيب مفتوحاً وذهب الى سيده . وكان تيار ناعم لذيذ من هواء الربيع يتدفق بحموية الى داخل المقهى . شمعت بارتياح مغاضى . صمق . نسيت خليل . كانت يد رفيعة حنون تثبت يدها السبل وتحمده عنقها الطويل . وترتبت على وجهها . لقد اقلت نفسها . اقلت نفسها جميعها الى التيار البارد اللذيذ واخذت تحلم . . . في الصباح

بعد ان جازت بحرى السيان على طول الزقاق وانحطت الى الشارع المريض . خيل اليها انها دخلت في فردوس حقيقي . الزهور الحمراء تطل عنانها فوق اسيجة الحدائق . والاغصان اشبه بالنسابل الحضراء تحيطها من كل جانب . ولقشات من الورود الملونة المتزاحمة واشجار اليوكالبتس الضخمة على امتداد الرصيف ووجود البرتقال البيضاء تلتمع كالجمود في رؤوس اشجارها المترامية بانتظام . ووراء هذا الربيع الزاهي الملون وبسط الليل الباعث الذي تلمس القصور الاليفة العالية زاوية بنور الشمس . لقد تنفست بعمق وملأت صدرها بالربيع . كانت تريد ان تحيا حيوات الازهار جميعها . ان تسمو وتفتح في الشمس مثلها . . . وتتشبث مثلها بالربيع . ولقد اسكت زهرة حمراء . واشفت ان تقطعها . لم تكن تريد ان تذبل وتوت بين يديها . سارت تترج بشوة طامغة . كانت حياة جديدة تدب فيها مع الربيع . ولقد فكرت فكرت ايضاً في ذلك الحلم الذي استيقظ فيها عند بكورة الصباح . وعصفت في جوانبها اهازيج سحرية . كانت تسير في حلم . . . حلم واحد طويل بين حدائق القصور الباذخة . ولم تكن لم تكن وحدها . نفسها تملك بالربيع . وكل شيء اخاذ حليل . . . ولقد اشرحت في التو من احد هذه القصور . لا بل من قصر اعظم اعظم بتير . كانت رشيقة ساحرة وبانة الصدر . كانت اميرة اميرة فائقة تنتظرها عرشها التخمعة عند باب القصر . وكان كل شيء اخاذ جليلاً ساحراً . وكان كل شيء كالربيع . . . اوه . . . اوى . . . شريد ؟

فزعت من حلمها فجأة ونظرت بانمناش . كان «الجردي» يسلو اربعة اشبار عن الارض . واقفاً امام المائدة يتشم لها بعينه الصغيرتين السوداوين واسنانه البيضاء . كان كل شيء فيه يذكرها بذلك الجردي المرح الذي شاهدته في رواية سندريللا قبل ايام . . . واجتبه احبته كثيراً . قالت ضاحكة :

— ولك شريد جردي ؟ — موات ردت الكواكب ؟
وطرح امامها الجملة . وعليها راقصة تتلوى كالافى . وذهب الى حده . وما تزال تتألق في عينه تلك البسمة الساذجة المرحه . كانت قدماء حافيتين والشداشة التي تلف جسده الصغير مشقوقة حتى البطن . اوه كم كان المسكين يرد في الشتاء . كان يبيع على ذكة ملاصقة لعنقه مع لباداة هزيلة فوق الشداشة وينهاج بال . يغطي به راسه . و احياناً يرنل اليشماغ الى اسفل ويطوق عنقه فيبدو مضحكاً جداً . كان يساعد اخاه في بيع الصحف والكتب

ما ، من خبيثة اقرارها ولم يدوما هي ، وأخيراً تم بين اسنانه
البراقة « ليش عيني .. ليش عيني ؟ » عيني اوه .. كم ودت
ان تنضم الى قلبها وتقبله طويلا وتتمرد بكل ذلك الحنان
الداقي في كيانها . انه الانسان الوحيد في كل هذا العالم .
الانسان الوحيد الذي يتعاطف معها ويشترك احساسها ويتالم
من اجلها . لقد مسحت الدموع وربت على خديه المتسخين
وابتمست له . كادت ان تحاقه باهتمامها . وسرعان ما اطمان
قلبه الصغير وفرح واظهر اسنانه الدقيقة البيضاء . ثم ذهب
بترافق وعاد اليها بكم من الجملات والروايات البوليسية -
وضمها امامها . وعندما غادرت المقيى ذلك المساء . ناولته قطعة
كبيرة من الحلوى . دفعت هي . ثمنها . ثلاثين فلساً . ونهض في
داخلها شعور غريب . شعور طامع بالسعادة والفرح .. الفرح
المجرد الذي لا تقويه شائبة يؤس . لقد شاهدت الجريدي
بترافق على الرصيف . وهو يأكل الحلوى ويقوم بحركات
مضحكة يريد ان يثير بها حسد اخيه الاكبر . وطدت الى البيت
ذلك المساء . وكأني ريشة خفيفة مرحة تلعب في مهب الريح .

نظرت في الساعة . بعد دقائق قليلة تصادر المقيى . الضوء
في الحرج كذب الشمع بنجاح على السيارات الخاطئة ووجوه الناس
وواجهات المحارن المقابلة . وتبدو غابة اثمار في الدكان المفتوح
مطلعة مزججة يندفق الموز المدلاة من السقف . ولم تعد رؤوس
قاني الكوكاكولا تومي الى شيء . فقد غابت الشمس وراء الابنية
العالية . ولم تبق منها سوى اثار خفية في جبه السماء البعيدة . وكان
شيء . فها يهد يهد ويتناقل ويموت . « اوف وفي .. »
قرعت الجريدة المسائية يد الاستاذ . وحضر الجريدي
مسرعا مفترق التفتين . تناول اجرة المطالعة وتولى مسرعا ايضا
نحو الباب . - ولك جريدي .. تعال .

قالت ذلك بصوت اعلى من المعتاد وخجلت في التواءها اشتريدين ؟
جم مرحة كانت لك كقول نعم من واحد يصبحك .. لا
تقول ها ؟ ونظرت من تحت اهدابها الى الاستاذ باستحياء .

سزين شتريدين ؟ نعم نعم نعم نعم نعم .
ابتسمت وربت على وجهه المدور الصغير باناملها العنوية .
وتناولته المجلة . هه ماكو وقت . باجر اقراها .

باجر زين . نعم نعم نعم نعم .. باجر .
واخذت متراعضا ضاحكا الى دكة الصغيرة فوق الرصيف .
وليس عليها في نشوة تامة . ونهض الاستاذ وصاحبه وغارا
المقيى . واخذ خليل يبعد تنظيم المقاعد حول المائدة المجاورة

واوراق البانصب . وغالباً ما كان يدخل الى المقيى وعرض فيه
وقتاً طويلاً ليدفأ . يقف هنا اسام مائتها ، يحك قدميه
المتحجرين ببعضها . ويروي لها احاديث صبيانية كثيرة لا
تنهي . كان مرحاً دائماً بترافق في شتيه وضحك باستمرار ،
كل شيء . ضحكته . ولم يشك يوماً . وهو المسكين .. حياته ؟
ماذا حياته ؟ كلها برد وجوع وتعب . لم تره يسكي المرأة
واحدة . اوه لا تستطيع ان تستطيع ان تنسى ذلك اليوم كان
شعلة محرقة الحبنا من راسها الى قدمها . كان اخوه يضربه
يضربه بشدة على وجهه .. على قفاه وعلى كل موضع من جسده
الصغير . والمسكين يصرخ يصرخ باستمرار . اوه لا تلم ماذا
حدث لما ذلك اليوم . لقد رفضه اخوه وقذف به الى الارض
واخذ يركله ويدوسه بمخاضه الثقيل . ولم تدمر ما اصابها . كانت
تبكي في مكانها . خيل اليها ان عظامه كلها قد نهشت . ولم
تتحمل طويلا . اخذت تصيح باخيه وتفتشه . ثم هربت الى
باب المقيى ودفعت بقوة . « وك ليش ليش ليش ؟ » ولكن
اياه انهم لا تقط .. انهم كان لم يحدث شيء . واقلب الى
عمله بكل هدوء . وبعد قليل كلف الجريدي دموعه وجاء
اليها مرحاً بترافق في المشي كعادته واخذ يتحدث عن اوراق
البانصب . كان قد باع يومها خمس بطاقات فقط واشاع عشرين
فلساً . لا يدري كيف قدت منه . لم يشتر بها شيئاً . « والله »
لم يشتر بها شيئاً . ولكن اخاه لم يصدقه . ولذا انهار عليه بالضرب
وهو كثيراً ما يضربه في البيت وكذلك امه ... لسبب ولنير
سبب . « آخ لانل ابروهم لابو والديهم » قال ذلك وضحك
ضحكة قصيرة مرحة وبانت اسنانه الدقيقة البيضاء . ولم يصد
عليه انه كان مثالاً . ولكنها هي تالت .. تالت بشدة . هذه
الحياة الغضة تتبدد هكذا في الطرافات . وذكرت اخوتها الصغار
اورجلهم الخافية ووجوههم النسخة واحست شيئاً يشق في
داخلها ويترك جرحا عميقا يدمي يدمي باستمرار . لقد اراكت
راسها الى الحزاة الخلفية واخذت تبكي بصمت وتسمح الدمع
المنساح على خديها بين فترة واخرى . ولم يهتم بها احد . كانت
تلفظ المدجنات من الحزاة وتزنها وتبيعها للزبائن وتلقها
بالورق . تفعل كل ذلك بصورة آلية غير واعية وكان فناء غيرها
تقوم بالعمل . وكانت تبكي بصمت كلما تركت نفسها . ولم
يهم بها احد . لم يهتم بها احد غير الجريدي . جاء اليها بسد
جولة في المقيى ووقف امامها واجماً . كان الم عميق ظل من
بينه الصغيرتين . ولم يدوما صنع . بدا كأنه خجل من شيء .

ويثير ضجة صاخبة . واحتج بوحشة غريبة كمن غادر وطنه الى بلد بعيد . لقد حاولت .. حاولت طوال النهار دون جدوى . والان ستعود الى البيت - الى الطين والى الفرقة المشتركة التي يخلق فيها كل شيء ، هي واحلامها وحيتها الطرية المنفتحة مع الربيع . نظرت الى صدرها واخذت تمسك من الخارج وصع الحرق المدسوسة فيه ثم مسدت شعرها البيل امامها بجانبة الخزانة الخلفية . وتساوت الجنة الصغيرة التي تشبه جيب يدها الاخرى .. وغادرت المقهى غملي وبئيدة . اضواء السيوف تنحرف فوق رأسها منداحة في ظلال المساء القضية . والسيارات تزدهم في الشوارع والزحام الكثيف يقف الشمس . هبطت الى الشارع سررة ثم عادت الى الرصيف . ولم تستد تماثيل في متنيها . حشود متراحة من الناس تتدافع . ومكان الباصات الساخنة الكبيرة تلهث في المواقف . وبعضها يطلق صرخات وحشية طويلة عند التوقف . المهرب . كانت تريد المهرب باقصى سرعة من الشارع الذي يجري كالمهر حديداً حامياً وأجساداً لجة وضوضاء . وكانت تنصهر . التمدل والجلطة الصغيرة بشدة في قبضة يدها . وتحبس خيطها الرفيع من الطريق بين الجيوب الكثيرة الملتفة على بعضها امتلات نفسها هديرأ ساحباً وخطر في دماغها . **مظهر** خرج . الى احد الافلام - اوف من الاممك القضية الصغيرة تلهث في التباك ثم تقرق منها على ظهر سفينة صغيرة تقف وحدها وسط المم الواسع .. والامواج المزبدة الزرقاء تتلاطم على جوانبها . ادبعت نفسها في المنظر بغموض . كانت هي السفينة المستوحدة . والم - امواج الناس والذكاكين والسيارات واضواء التيون . فملت ذلك دون ان تدري . ولقد اجدها المسير اللتوي وهدير الشارع .. فاخذت تدفع الناس بجفنها الكزة الندية .. وتقدم خطوة صغيرة . بعد خطوة صغيرة .

تفتت بمق عندما وجدت نفسها في الساحة المدورة . رفعت عينيها الى السماء .. الى الشفق الازرق النامق . ونفتت صرأراً ارج الربيع الذي يهب عليها من حديقة الساحة . كانت تنحلس رويداً من غناء الزحام وتغني . رويداً عجوات الورد الزاهية المتعبرة على سيقانها الصغيرة داخل بسات من التيل الناعم المبتل . وعندما خلقت الساحة وراءها .. كان في نفسها شيء من خصب الارض وشدها الممش .. بعد مطر خفيف . احست براحة وانطلقت في شارع آخر خف فيه الزحام . جازت بسرعة عوايد الكهرباء والمقاهي المنتشرة فوق الرصيف وباعة الفنايش القايين وراء منازلهم الحماية . في فتوة صغيرة

بين المقاهي . كانت عنبلية من النصار الحمراء حولها بضعة رجال عراة السنان يكفون السلك . لقد حملت هذا المنظر معها برعة طويلة . ذكرت ترة حيفة في جزيرة بعيدة . شريط من البيا . يلتصق تحت اشعة القمر . بضعة قوارب مربوطة الى ساحل الجزيرة . وهما وهالك عنبليات النار وخلايا الناس والسلك المكسوف .. والرجال حوله يضطربون بسبقاتهم المارية . كانت صغيرة جداً بعدما اخذهم معها يوسف الى جزيرة الكاودية . وكانت امها ما تزال حية وابوها لم يقمده المرض يد . كان ذلك في ماض بعيد جداً .. يبدو كاطلم الماي وكان معها يوسف لم يهاجر الى الهند يد .. وقطع اخباره عن السائلة كل هذه الاعوام الطويلة لا يعرف مصيره لا يعرف اهو ميت ام ما يزال حتى الان من الاحياء .

مضت تحمل هذه التكري الى مدخل الشارع العريض ، هناك شعور اخذ يشغل عليها احساس بالتمسك والتذمر البائس من شيء ما . يد قليل سترب في عتمة الزقاق الموحد ، وتجري مع مجري السيان .. وتلش كقطعة من الطين المزجج في زاوية من الفرقة المزدحمة . ذكرت قطعة الباسطرة المملدة الى جانب ضورك جديداً المهرت في البرغز الموضوع عند الباب ورائحة الفط التي تملأ الفرقة في الصباح .. وتنتم اليها التي يوجها ابدأ الى امها المتوفاة ، ورائحة المدونة والاحذية والرق والملايس التنة في القيل ، ولم تكن هناك ناذمة ، فقط كوة صغيرة في السقف يمر منها بعض الضياء اعما النهار ، وهواء الفرقة ثقيل ، ثقيل مظلم يطبق على صدر المرء ويكاد يخنقه في كل لحظة . اوف ربي .. ليس ليس ؟

مضت تساقب في الشارع المرضي . لقد فاجأها السكون التثبت من الاشجار المتكاثفة في التلعة ، ومن اضواء التيون البعيدة وجدران القصور البيضاء . وسارت دون ان تفكر . كانت خالية خالية من كل شيء ، في الشارع ثمر قليل ، واضواء السيارات تنحرف في عينيها بين لحظات متباعدة ، والاشجار الضخمة ترقبها بصمت . والسكون الاجوف العميق يمتس نفسها باجمعها ، اشباح مسرعة صرت تحت الاشجار المظلمة ، وتلاشي وقع اقدامها على امتداد الرصيف ، واخذت نسمة لطيفة تحرك الاغصان المظلمة من فوق اسيجة الحدائق . وردد فيها ردد كل شيء ، هدوء . وسلام حزين صامت ، وسكون ينفذ عميقاً وينشر في داخلها ، وتسير في حلم ، حلم طويل فارغ تشبه بلعواء لا تدري كيف افانقت . كانت برعة صغيرة صغيرة جداً تركها

وراءها ، ولم تبلغ بعد منتصف الطريق ، لقد وقفت سبابة امام احد القصور وتزل منها بضعة رجال ، وبعد خطوات اجتازت جبهة من الخدم وسواق السيارات ، واضواء النيون كانت تخفق في حديقة القصر الخضراء ، ربما كانت عندهم ولية طالما فكرت في الناس الذين يمشون وراء هذه الجدران العتيقة ، وكانت تهض في ذهنا دائما ابراج وقلاع اقطاعية كالتي تمشدها في الافلام التاريخية ، رجال ونساء يتحركون مثل الدمى .. يشربون ويأكلون باستمرار . ويظلمهم الحرير من كل جانب ، وعلى مدى الاعوام تتكون داخل الابراج نسج من الحكايات الممتعة الثرية مثل اساطير الم ليلة وليلة . ذكرت فلم حرامي ببداد .. وشارع الرشيد المزدهم بالسيارات .. ووجه خليل المتنفذ . لقد توقفت ان يلفت الاستاذ نحوها عندما غادر المقهى . لا تدري لماذا . ولكنه لم يلفت . مضى على الرصيف باستقامة كما يفعل كل يوم .. وماتت الانسامة التي هبأتها على شفتها ، وعندما غادرت المقهى كان الجريدي قاعاً على ذكته الصغيرة وقد وضع رجلا فوق الاخرى كاه شخص كبير محترم .. وكان يصغر لحاً بين اسنانه البراقة الدقيقة . وتذكرت في الحال ذلك الجرزي المرح الذي شاهده في رواية سندريلا واجتبه احبب كثر اقترنت الى السينا قبل ايام مع ماري ، وعندما احببت سندريلا ، لم يكن مستعجباً من اجلها وفرحت من اجلها ، وكانت سعيدة سعيدة جداً عندما اقترنت سندريلا بالامير دون اتيق ايها القبيحين . بقيت في الفراش مدة طويلة تحت القف منظرأ منظرأ ، وعاشت منذ ذلك اليوم مع سندريلا ، اوه كم كانت تريد ان ترى القف مرة ثانية ، ولكن الاسبوع مضى وعرضوا فلما آخره وهذا الاسبوع ايضا لا تستطيع ان تذهب الى السينا . المرة القادمة يجب ان تدفع هي عن ماري ، عيب ، دفعت عنها مرتين ، وليست مربية ، طامة مثلها تشتغل في احد الحزن وتسكن في نفس الزل .

توقفت واسفت في السكون العميق ، شيء مثل شعورها ذلك الصباح يتدفق في داخلها بهدوء ، اه آت ، انه آت في الحال ، وفرحت بشدة اضواء النيون تتأوج من بيده وزهور البرتقال البيضاء تتلألأ كالنجوم في النافات المظلمة ، والابراج العالية تلمس سآكة على جانبي الطريق . انه آت انه آت الآن .. نسمة رقيقة ، حفيف الاشجار ، وشذى القداح عملاً القضاء ، واحلام النيون الفضية في الحدائق الخضراء ، وضعت يدها على قلبها ، وانغمست عينها ، وجدت في مكانها . موسيقى حبيبة انبشترت في من عالم آخر ، ورفرفت حولها عاصير ملونة حبيبة تزرقق بالراح

وتنفي « سندريلا اتي ، سندريلا اتي » سندريلا ، سندريلا ، اناقت وكانت تعلم انه هناك ينتظرها عند باب القصر .. الامير الجليل يدلله الموشاة ذات الاوامة القديمية والشرائط السرمية ، والعمرة كانت هناك ايضا .. العمرة الفخمة التي صنعها الساحرة للملك البلية بضربة من عصاها السحرية ، اوه لم ترد ان تبقى ، لم ترد ان تبقى في الصباح ، لقد سكنت تحت الاحاف كالخط المستقيم . يداه مقودتان على صدرها وقدماهما دافيتان متعاقتان ، ولم تكن تريد ان تتحرك ، هو هناك ينتظرها في الحارج ، ينظر بين لحظة واخرى الى نافذتها العالية ، لقد غد صبره ، وتعل عليه من النافذة وتلقي له قبة في الهواء ، وتعود لتزدي حذاءها الزجاجي الشفاف . فرح فرح هائل عظيم يلعب كيانها كاه . والمصافير الملونة الحبيبة « سندريلا اتي ، سندريلا .. » والمصافير الحبيبة تطير في جو الفرة وتلألأ العالم كله بنفائهم المرح السعيد . وهي ساكنة تحت الاحاف . لا تريد .. لا تريد ان تفترش من الفراش .

« هذي الحبيبة ما ما كن فعلت بعد ؟ » لم تستمع في البداية . لكنها ذكرت هذه الكلمات اثناء النهار . ذكرت في المقهى بوضوح تعقيد وجهها بلطف كانت ابوها يزعج بصوت حال « ولك بهجة لومي .. لومي تزوجين على شغلك » وخالتها - شعرها القفوش وعينها البليجة كالحصاة - منصبة عند حافة السرير .. تهزها بشدة من كنفها . فر الحلم واخفت المصافير . وذهب الامير والعمرة وكل شيء . اوه عيشاً عيشاً نحاول مرة اخرى . خالتها وعينها الوحيدة الحمراء . ابوها والمقهى ... وخليل . والفرقة المستطبة المظلمة .. هذا كل شيء . هذه كل حياتها . وبعد قليل ستجتاز مجرى السبان في الزقاق العتيق . وتبلغ الدرج الحجري النوار - تراب وطوبوكات متساكة وخرايش اقدام .. وطين طين طين . طين لزج كثيف في كل مكان .

« اوف ربي .. ليش ليش ليش ؟ » اتكأت على سياج حديقة اسد القصور . واخذت تهتر بشبح عنيف . « ليش ليش ؟ ربي ليش ؟ » وكانت جبهة من هواء الربيع تعبت بشعرها الطويل المسبل على كتفها ، والشارع المرص هادئاً يتجم على جانبيه قلاع وابراج غريبة تتسج اساطيرها في الظلام ، والاشباح المسرعة تحت الاشجار . يتلاشى وقع اقدامها ببطء . على امتداد الرصيف .

عبر الملك نوري

بغراء

ظنول ... ورمال



يا شقي الفؤاد أنت على الأرض شقي معذب مهالك
قد عبرت الزمان في ميعة العمر فأين المصير من كل ذلك ؟
أينما سرت فالحياة صراع أبدي حكاية بعض حالك
إن سلكت اليسار كنت يميناً واليمين اليمين حول شمالك
ورحاب الوجود لو كنت تدري ضيقات مرعدات المسالك
ليس في الأرض يا شقي فؤاد فيه خفق لمن هو في مثالك
رحل كل الحياة تبعث في الكون جلالاً ونشوة من خيالك
وتذيب الحنان في خمر الكأس وتمحو على المسوى بطلالك
وتفني إذا الرياح تنضت كالأنهار والرؤى في خيالك
قد زفت الجمال من كل شيء فيك حتى غدوت عبد جمالك
في نسج الأحلام أنت أسيراً منها مهنداً بحالك
يا شقي الفؤاد من أين تمضي والظلام الكفيف حولك حالك
أين تمضي مع الزمان وتقتو بين ثم وبين ألهم خيالك
كل هذا الوجود حلم تقبل يستوي فيه مالك - غير مالك
وعروش من الجماجم سارت في ركاب من الحنا وبمالك
ليس في الأرض غير جبل مرير وفقاء وحيرة ومهالك
أين تمضي - ألا تخط ضريحاً لك فيها وتومي فوق آلك ؟
أين تمضي - أما كفك عذاب ؟ يا شقي الفؤاد إنك حالك
عجبا ! أنت في الوجود شقي تس القلب صائر لما لك
لست تدري أن كنت تسلك ليلاً أم هو الليل في شعابك سالك
وسواء جهل يا صاح هذا أو علمت المحطور من كل ذلك
فالحياة الحياة توار كاليم وتملو على فتات ورمالك
الخرطوم هزبر اندراوس

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم

٥٥

اواسط القرن الثالث الميلادي

وتلخص الروايات عن طسم وجديس بأنها كانتا فيليني
تسكنان البادية «جو» وما حولها الى البحرين. وحدث ان تملك
طسم حتى حكم رجل منهم يقال له «عليق». وقد تنادى في الظلم
الى ان تنازعت امرأة من جديس يقال لها «هزيلة» وزوجها على
غلام لها. فخاصمت الى زعيم طسم الذي ما كان منه «بعد استماعه
الى الالهة» الا ان امر بان يتابع هي وزوجها فتعطى عشر ثمنه،
ويسطى خمس ثمنها، وأمر بالغلام ان يرفع منها ويحمل في غلغاله
وهكذا استرقوا جديساً، ففضبت المرأة والنساء ألياناً معها عليق
فأمرت بغيره «وعنه» امر ان لا تزف بكر من جديس حتى
تساق اليه فيقتلها الجبل زوجها.

وذلت جديس زماً حتى تزوجت اخت سيد جديس «الاسود
ابن غنار» وكانت تسمى «غفيرة» وقال لها «الشموس». فلما
دخلت على عليق امتنعت، الا انها خرجت اخيراً من عنده بدماء
العارشاة ثوبها ومارّة بأخها وهو في جمع من قومه شديب وتلتجب
وتلشد الاشعار حتى تكست رؤوسهم خجلاً وذلة، وألبت
فخوسهم غضباً وحمة.

وقفت الحيلة لأخيا «الاسود» بعد ان سارت جديس
الى طاعته، فقال لهم: قد رأيت ان اصنع للفلك طعاماً ثم ادعوه
وقومهم فاذا جاءوا يرفلون في الحلق قت الى الملك وقتله، وقام
كل واحد منهم الى رئيس من رؤسائهم، حتى اذا فرغنا من
الاعيان، لم يبق الا آخرين قوة.

ونتهم الشموس عن الفدر رغم الحوادث الجلل، فلم يأبه
الاسود، وصنع الطعام في ظاهر البلد، ودعوا السيوف مشهورة
نحت الرمال. وجاء الملك واعيان، فلما جلسوا للالكل وثب
الاسود على عليق قتله، ووثب كل رجل على جليسه من

الباب السادس: تابع الفصل الثاني

طسم وجديس

لم تكن هاتان القبيلتان شقيقتين^(١)، لهما تحرياً
أبناء، أمم^(٢). وعلى كل فيها تنسبان الى «نوح»
مثل «ماد» و«عمود» عن طريق «ارم» و«سام»
ولا بأس من وضع سلسلة توضح حقائقها نسب هذه القبائل التي
تكتنفها الحرافات من كل جانب، لتسدها من ابن قتيبة^(٣)
ونرسها على الوجه الآتي:



نوح
سام



وكما اعتاد المؤرخون ربط عاد وعمود وحوادثهما متفقين ذكر
القرآن لهما معاً، فكذلك اعتادوا ان يربطوا بين «طسم»
و«جديس» اللتين لا تكادان ان تذكر الا معاً، لا بل انهما
بمخلاف عاد وعمود قد عاشا في زمن واحدة ومكان واحد، واقتسما
اسباب الحياة، فارتبطا بها بالحقيقة أساطيرهما لا تكاد تنفصل
لويق العلاقات بينهما.

ولقد ورد لطمسم وجديس ذكر في جغرافية بطليموس،
فلا سبيل الى القول بأنهما لم يكن لهما وجود وكيان. ويقال ان
حوادثهما، كما يرى Causin de Perseval قد امتدت حتى

(١) صفحة ١٤ - كتاب للماروف لابن قتيبة، جوتنن ١٨٥٠

(٢) صفحة ج - السيرة لابن هشام

(٣) صفحة ١٣ - ١٥ - كتاب للماروف

رجال طسم حتى يادوم.

وهرب رجل من طسم يقال له رياح بن مرة حتى طلق مع بقية
شبيثة من طسم - حسان بن تريح الحيري - فاستغاث على جديس ،
فاجابه الى طلبه ، وبعت بجيوته [وقال سار بنفسه] الى اليمامة .
ولما كان على ليلة من منازل جديس استوقفه « رياح » وقال
له ان له اخناً مزوجة في « جديس » يقال لها « عمامة » ترى
الشخص على مسيرة يوم و ليلة ، وهي ابصر خلق الله على بعد ..
فخشوا ان تراه وتذريهم القوم ، فأمر الملك رجلاً ان يصعد
الجبل فيكشف امرهم ، فأبصرته « زرقاء اليمامة » - وهي
زرقاء العينين - وانذرت به قومها بعد ان اخبرتهم بماذا يصنع
فوق الجبل ، فكذبوها .

وطلب رياح من الملك ان يأمر اصحابه فيقطع كل رجل
شجرة ويسير بها امامه ، وهكذا كان حتى اذا دنوا من اليمامة
ليلاً ، نظرت زرقاء اليمامة فأبصرت القوم ، وانذرت بهم جديساً
فكذبوها ثانية ... وصاحبهم « حسان » بحمير فأبدهم وخرّب
بلادهم ودك حصونهم وقصورهم ، وفبض على زرقاء اليمامة
وقلع عينها فرأى عروقها محنونة بالآدم ... وهو حجر أسود
كانت تدق وتكتحل به فهي اول من اكنحل بالآدم بين العرب .
وفر الاسود بن غفار واخذه الشمس فومه فخر من قومه
ولحق بجبل « طي » قبل ان تزلها « طي » - وكانت تزل
الجوف من العين - فزل هناك . ورجع حسان الى بلاده بعد
ان اطلق على « جو » اليمامة تسمية لما بالتي كانت ابصر خلق
الله على بعد ، والتي ضرب بمجدة نظرها المثل فقيل : « أبصر
من زرقاء اليمامة » (١)

جرم والمالين

ومن بين الشعوب البرية البائدة يذكرون « جرم » التي
سكنت ، كما يقول ياقوت (٢) تهايم العين ثم لحقت بمكة وتزلت
على احاميل الذي نسا فيها وتزوج منها . وقد مر حديث نزولها
حوالي مكة ، فلا مجال لاداته .

ومن بينها ايضاً « الماليق » الذين كانت منازلهم موضع
« سنام » ثم خرجوا فنزلوا ايضاً حول مكة ، وطلعت طائفة
منهم بالشام ومصر وتفرقت طائفة منهم في جزيرة العرب الى

(١) راجع قصته : تاريخ الطبري ص ٧٧١ - ٧٧٥ ج ١ . الأمان ص
٤٨ - ٥٠ ج ١٠ . كتاب للماروف ص ٣٠٨ . للبيداني ص ٩٣ - ٩٤ ج ١
الكامل في التاريخ لابن الأثير ص ٢٥١ - ٢٥٤ ج ١ وفيه ما .
(٢) ص ١٠٢٨ ج ٤ مجمع البلدان

العراق والبحرين الى عمان (١) . ولا يكتفي « ابن قتيبة » بمصر
والشام ، وانما ينسب اليهم قسماً من ملوك فارس وخراسان (٢)
وكذلك يسبون لهم شمو بأ قديم جداً كالكنعانيين والفلسطينيين (٣)
ولهذا يطلقون على سكن ديار الشام في الزمن « الجبارين » . قال
ابن عباس ذاكراً أريحا في غور فلسطين : « اريحا قرية
الجبارين . كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم المبالغة ورأسهم
عوج بن حنق » (٤) .

عوج بن حنق

وحيل ما يروونه عن عوج وامه عنق او « عناق » :
لقد كانت امه احدى بنات آدم لعليه ... هائلة غيظة ...
كل اصبع من اصابعها ثلاثة اذرع في عرض ذراعين ... وفي
رأس كل اصبع منها ظفران حديدان مثل المشجولين ... وكان
موضع جلوسها جرياً من الارض ... وهي اول من
بش على وجه الارض ، وعمل الفجور والسحر ، وجاهر
بالمعاصي ... ولهذا ارسل الله عليها اسوداً كالغنية ، وذئباً كالابل
ونسوراً كالخر قتلها ... واراحوا الارض من شرها !!

ولدت عوجاً - رحم الله اباها - فكان يجتاز السحاب فيسير
الله ، فيسوق الحبوب من قرار البحر فيهبه بين الشمس ، ثم
ياكلها . وعمره اثنى ادره الطوفان الذي طبق الارض وعلا
رؤوس الجبال ، فما جاوز ركبته لا بل انه طلب السفينة ليرى !!
واشته به العمر حتى ادرك موسى الذي لم يستقر لقومه الامر
بمصر امر ان يرحلوا الى اريحا ، قرية الجبارين الذين صوا بذلك
لامتاعهم وطول قاماتهم وقوة اجسادهم ، وهم كما ذكرنا
من المبالغة قومه عاد .

واخبر موسى اثني عشر قتيلاً من كل سبط من اسباطهم
قتيلاً ، وبشهم لما قربوا من المدينة يشجسون اخبار قومه
فلطمهم عوج على رأسه حزمة من الحطب فوضهم فوقها - او في
كاه - وسار الى امراته ، ونثرهم امامها يريد طعنهم ، فقات
امرته بل دخل عنهم حتى يخبروا قومهم فتركهم كما طلبت منه .
ثم ذهب عوج الى الجبل وقور صخرة على قدر معسكر
موسى ، وحملها ليطبقها عليهم ، فبث الله هدهداً ففر الصخرة
وتزلت من رأسه الى عنقه فقتله الحركة ... ووبى موسى
وقومه فجبروا عليه !! (٥)

(١) قس للمصر (٢) ص ١٤ كتاب للشارف (٣) Nicholson ص ٣
(٤) ص ٧٠ ج ١ - تاريخ الخليل في احوال أئمة تبليص ، الخليل
الدير بكري ، طبع مصر ١٣٠٢ (٥) ص ٧١ - ٧٢ قس للمصر

الفصل الثالث

اساطير العرب الياضية

والعرب الباقية من قحطان وعدنان اساطير وخرافات غير التي اعتدناها من احداث العهد القديم ، وهي تتعلق بأزمات ليست جد بعيدة من العصر الجاهلي المروى ، او بلدة التي نسير عنها احياناً بما قبل الاسلام . وليس لنا في هذا المقام الا ان نختار من بين هذه الاساطير بشراً ما كثر ذكره في الجاهلية . ولا بأس هنا من الكلام عن سد مأرب ، والقصور المشهورة في الادب العربي ، وحادثة الفيل ، واخيراً أيام العرب .

مأرب

قبل ان نتحدث عن سد هذه البلدة وخرابه ، نحب ان نذكر في اولى مادة مأرب لـ « ادولف جروهن » في الموسوعة الاسلامية (١) فهي بحث شيق وخصوصاً ما تناول الكلام من زار هذه المدينة . كارنود ١٨٤٣ Th. J. Arnaud ، وهاليفي ١٨٦٩ E. Halévy ، وفلازر ١٨٨٨ E. Glaser ، وعن اقوال هؤلاء واحكامهم ولقد احاط جروهن بأطراف البحث واستوفى الاطلاع على ما أخذه القدماء والحقبة .

اما نحن ، بكتفتنا هذه ، فلا نطرق إلا إلى واحدة من بحثنا عنها في ذخائر الادب والتاريخ وغيرها من الكتب : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كانوا من رزق ربهم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتين ذواتي اكل فخطوا وأمل وشي . من سدو قليل ، وذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي واما آمنين . فقالوا ربنا بعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومنزلهم كل عزمق ان في ذلك آيات لكل صبار شكور » (٢) .

والجنان ، كما يقول الهمداني ، عن يمين السد ويساره (٣) ولا شك في ان ما جاء في القرآن ، وما قاله الهمداني الذي وقف على حقيقة مأرب في زيارته لتلك الاماكن هما اوثق الاخبار القديمة عن هذا السد ، واكثر مطابقة لوصف من

ذكرنا من الثقاتين وغيرهم من اكتشفوا آثار الحزان المشهور . ولقد حدث من شاهد مأرب - على ذمة ياقوت - فقال عن السد : « هو بين ثلاثة جبال ، حسب ماء السيل الى موضع واحد ، وليس لذلك الماء مخرج الا من جهة واحدة ، فكان الاوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والراسص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع ما يتحس من مياه السيول فيصير خلف السد كالبحر ، فكانوا اذا ارادوا سقي زروعهم فتحوا من ذلك بقدر حاجتهم بواب محكمة وحرركات مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه اذا ارادوا » (١) .

وما يلاحظ ان هناك اختلافاً في الكتب التاريخية على بابي السد ، غير اننا لا يهنا ما اذا كان بابيه « لقنان بن عاد » او « سبأ بن يشجب » او « بلقيس » او غيرها بقدر ما يهنا خبر خرابه وقصة سيل العرم .

الفسحة

كان ما كان في قديم الزمان ملك كاهن يقال له « عمران » .. وكان يبعده علم من بقايا دماء « سليمان »

وفي اواخر أيامه اخذ ينذر قومه بخراب بلادهم وتشتبهم في البلدان ، ويقولون : شيخ كبير ! ولا حضرته الوفاة ، وقد بلغ أرذل العمر ، طاروا أربعة قرون بعدما اخاه « عمرو بن عامر » ١٢ - الذي كان قد بلغ للأعانة عام - وقال له : ان اسراء من قومه يقال لها « ظريفة » - بنت اخير الحجورية - سرت عنه ... ثم اغتوى ثمانية بخراب البلاد ومات ... فولي « عمرو » الملك وتزوج ظريفة .

وكان عمرو هذا ملكاً عظيماً بمأرب . وكان له تحت السد من الجنان ما لا يحاط به ، حتى ان المرأة كانت تمشي من بينها وعلى رأسها اناة ، فلا تصل الى بيت جارها الا وهو ملائكة بالقواكه دون ان تسم منها شيئاً ، وكان الرجل يمشي تحت ظلال الشجر شهرياً فلا تصل اليه الشمس !!

وحدث ان كانت ظريفة نائمة ذات ليلة فرأت كأن آتياً جاءها وقال لها : ما تحبين يا ظريفة ؟ علماً تطيب به نفسك ، او ووداً تحر به عينك ؟ فاختارت العلم ... فخر بيده على صدرها ، ومسح

(١) ص ٣٨٣ ج ٤ - معجم البلدان لياقوت

(٢) ص ٣٨٤ « تنس للمصدر عكس في الترتيب ، حيث يحمل ياقوت الاول وارث الثاني . والمسعودي في مروج الذهب ج ٣ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ فا يبدء بواقف الهمداني الا انه يخطئ في موت عمران فيجعله يشاهد بين الملك ، ويصف ابن بود الرحيل من الجن البلدان ليخبروا منها ما يتأدبون

(١) ص ٢٨٠ ج ٢ Enc. of Islami

(٢) القرآن الكريم ص ٣٤ آية ١٤ - ١٩

(٣) ص ٥٢ ج ٨ - الاكسليق الهمداني



الاديب

✱

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها شهر
يناير، كأول الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشا مصرية او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجلتين ١٠٠ ريال

اشتراك المفصل :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٢٠ جنينا مصرية او استراليا
او : ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء فخرت ام لم تفر
للاعلان ترابع ادارة المجلة

ادارة الاديب : بلب ادريس ، شارع الكيوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ Direct. : 47 - 82
المزل : ٣٧ - ٤٨ Dete. : 37 - 48 } Tél.

✱

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **السير أديب**

سكرتير التحرير : **محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

بظاهر كفه بطها ففقت ولكنها اتست في الدم ١١

وكانت سرية نائمة الى جانب عمرو ، فبيت مذعورة اذ وأت
كان سحابة غشيت العين وهي تترك وترعد ... فسأها : مالك
يا نظريفة ؟

فقات : آؤف بك الفرق ، وأنا كم من الامر ما قدر وسبق ..
ولم يلبث عمرو اياماً حتى خرج ومعه قيتسان الى بعض
حدائقه ، فطلبت نظريفة ومها وسافها ... فاسترضها في طريقها
ثلاث مناجذ ١) منتصبات على ارجلين ... ثم غين ، فتأبت
سيرها ، فوثبت امامها من خليج ماء سلخفا ووقفت على التراب ،
واستلقت على ظهرها ، ثم طادت الى الماء . فسلت نظريفة من
الماجد والسخفا اشياء ... وتأبت سيرها حتى دخلت الحديقة
نصف النهار ، فرأت شجرها يتأبل من غير ريح !

وظن عمرو ان غيرتها حملها على القنوم ، فأخرج الجارقيين ،
وقال لها مرحباً يا نظريفة ، علمي الى فراشك ...

فقات : هيات والور والطلاء ، والارض والسماء ، ليكن
الشجر بالماء ، وعلم انها كرهت اخباره وعنده القيتان فابدها ..
وعندئذ اندرته بالحطب ... وكان لا زال متكئا على الارائك
فاسنوى جالساً ، وقال لها : صدقت ؟ فلو لم تتركها ؟

فقات : انطلقوا الى ظهر الوادي ، فاسترون الجرد الثاني ،
يجر كل صخرة صبخاد يثاب حداد ، واكافر شداد ...

فاطلق حتى اشرف على السد ، فاذا بجردان حمر تحفر السد
وتبحث برجلها ، فتلقع الصخرة التي لا يستقلها مائة رجل ...
ثم تدفعا بمخالب رجلها ... فاغتم وصدق قول نظريفة ، ثم رجع
مهموماً فسأله : ما وراءك ؟ فاجابها بما رأى « شعراً » ...

فقات : يا عمرو ، اذا ظهر الجرد الحفار ، فاستبدل لنفسك
داراً من دار وجاراً من جار ، فعندها تنزل الاقدار ...

وطلبت منه العجاة .. فحرب حيلة لكي يترك ملكه ، وغذاه
ثم باع ملكه كما باع ذووه ضياعهم ، وارتحلوا عن ارض العين ..
وكان ذلك الجرد قد خرب السد ، فطنى الماء وغرق البلاد
حتى لم يبق من جميع الزروع والمهار الا ما كاث في رؤوس
الجبال ، والامكنة البعيدة .

وكان اكثر ما خرب بلاد كهلان وعامة بلاد حير ! اما
القبائل اليمنية التي ارحلت عن اليمن فسكنت الحجاز في اماكن
كثيرة والشام وال عراق وعمان وغيرها من بلاد العرب .

١) « وهي دواب تنسب الى اربع - سراج الذهب : ص ٣٨٠ »

والقصة (١) تمتد فذكر حروب هذه القبائل مع سكان المنازل الجديدة مما يطول ذكره... ولستكتف أدأ بحبر الشبكة التي حلت بالعين على اثر اقتجار السد (٢).

التصور

والقصور التي ذكرها الادب العربي كثيرة فكنتفي هنا بالإشارة الى اثنين منها وهما غمدان والخورق :

غمدان

اول تصور البين ، واعجبها ذكرأ ، واجدها صينأ (٣) .
يرجعون بناءه الى « سام بن نوح » فهو اول من اسسه (٤) .
ومهم من ينسب بناءه الى « ابي شرح بن محصب » (٥) . وقال
قوم انه احد القصور الثلاثة التي امر سليمان الجن ينائها لبقيس (٦)
وقيل وجد حجر فيه مكتوب بالمسند : « بناء غمدان »... وعلى
كل فان صاحبه الذي بناه حينما اراد ان يتخذ قصراً للجن ، احضر
البنائين والمقدرين ، فلبوا الحيط ليقدروه ، فاقض على الحيط
طير وخطفه... فنبوه حتى القاه في موضع غمدان فبناء صاحبه
هناك على اربعة اوجه : وجه بمحارة سوداء ، ووجه بمحارة
بيض ، ووجه بمحارة حمر ، ووجه بمحارة خضر (٧)

وزعمون انه في ساعة طلوع « النهار » وفيه « الزهرة »
و« المريح »... ومن خاصية هذا البرج نبات الاشياء ، وقلة تنبهاها.
ولقد بلغ القصر في بعض الروايات سبعة سفوف ، بين كل سقف
وسقف اربعون ذراعاً (٨) . والبيت عند الغمداني انه عشرون
سقفاً ، كل سقف عشرة اذرع ، وهذا يكون مائتي ذراع ، ولا
يتمدر سني رأيه ذلك عليهم لقد رتهم على كل معجز من البناء (٩).

١ - يرد الغمداني في الاكلیل « ج ٨ ص ١٣٥ - ١٣٧ » نحو
من ٧٠ سدا في بلاد البين ، ويذكر ان بعضهم حده بانه يوجد في
« محصب النور » - عمان في البين - ٨٠ سدا ، ولهذا يقول احد :
« ولي البروة البيضاء من ارض محصب تمانون سدا تخلص الماء سالكا
صلة جزيرة الرب » ص ١٠١

ب - تراجع القصة في : الاكلیل ص ٢٦٢ - ٢٨٧ - ج ص ٢٨٧
الذهب ص ٢٧٨ - ٢٩٤ . ج ص ٢٩٤ - ٢٨٤ - ٢٨٨
الكشف عن حقائق فرائض التنزيل ص ٢٠٣ - ٢

(٢) ص ٥٠ : ج الاكلیل (٣) ص ٦ نفس المصدر
(٤) ص ٢٤ : وفي معجم البلدان : ص ٨١١ ج ٣ « يشرح بن محصب »
(٥) ص ٨١٢ ج ٣ : معجم البلدان (٦) ص ٢٦ ج ٨ : الاكلیل
(٧) ص ٧٦ - ٢٥٤ : ج ٨ : الاكلیل . وفي معجم البلدان ص ٨١١
ج ٣ « يتبين ياوت باليون السود لونا أسفر
(٨) ص ٢٣ ج ٨ : الاكلیل وس ٨١١ ج ٣ : معجم البلدان
(٩) ص ٢٣ - ٢٤ ج ٨ : الاكلیل

ولما بلغ صاحب غمدان غرخته العليا التي يبلغ ارتفاعها اثني عشر
ذراعاً سوحي جلس الملك الحق سقفاها برخامة واحدة فكان
يستلقي على فراشه في الغرفة ، فيمر بها الطائر فيمر به الفراغ
من الحدأة... وكان لغرفة اربعة ابواب قبالة الصبا والدمبور
والشمال والجنوب... وفي زوايا القصر الاربع تماثيل اربعة اسود
من نحاس مجوفة... اذا هبت الريح زارت كما تزار الاسود (١).

وكان صاحب القصر يأمر بالمصايح احياناً ، فخرج فيه ليلا ،
فكان سائر القصر يلعب من ظاهره ، حتى اذا اشرف على الانسان
من بعض العرق ظنه برقا ولا يعلم ان ذلك من ضوء المصايح (٢).

وفيه يقول علقمة :

مصايح العليلت يلعب فيه اذا يمس كتوماض البروق (٣)
وبروي انه كان في الغرفة العليا منه ستور فيها اجراس ، اذا
ضربت الريح تلك الستور ، سمعت اصوات من الاجراس من
مكان بعيد... وكانت الى جنب القصر نخلة يانة سحق تطرح
بسيانها الى بعض ارجاءه (٤).

وقد طاول هذا القصر الزمن حتى قيل ان فيه زالت الآلة :
« لا يزال بناهيم الذي بناه وية في قلوبهم » (٥) . فاسل النبي
احدهم ليهيم على يقين على عهده ، وعندئذ احرقه . ولم يدم
الا بضعون سنة التي (٦) سحبت لم تل « حديد » تزه وتزيد فيه حتى
اشرب في ايام شان (٨).

وذكر ان قيل لثمان ان سكان البين يزعمون ان الذي يهدمه
يقتل ، فامر باعداء بناءه ، فقيل له لو اخفقت عليه خرج الارض
ما اعده كما كان ، فتركه... فلما خرب ، وجد على خشبة مكتوب
عليها برصاص مصبوب : « اسلم غمدان هادمك مقتول » فهدمه
عثمان فقتل (٩) .

فاذا صح « كما يرى زيدان » قول الغمداني ، ياقتوت ان بانيه
هو « اليشرح بن محصب » كان بناؤه في القرن الاول للعباد .
ويكون قد عاش نحو ٦٢٠ عاماً (١٠).

الخورق

ولله اشهر القصور التي كانت في نواحي العراق ، والتي كان

(١) ص ٢٠ - ٢٤ : ج ٨ : الاكلیل ، ص ٨١١ ج ٣ : معجم البلدان
(٢) ص ٨١١ ج ٣ : معجم البلدان (٣) ص ٢٥ ج ٨ : الاكلیل .
في معجم البلدان « ص ٨١١ ج ٣ : ذو جند الغمداني
(٤) ص ٢٥ - ٢٦ ج ٨ : الاكلیل (٥) ص ١٧ نفس المصدر
(٦) القرآن الكريم ص آية ١١١ (٧) ص ٢٦ - ٢٧ ج ٨ : الاكلیل
(٨) ص ١٩ نفس المصدر (٩) ص ٨١٢ ج ٣ : معجم البلدان
(١٠) ص ١٤٥ : العرب قبل الاسلام لزيدان مطبعة الهلال - مصر ١٩٠

Princeton University Press

SAUDI ARABIA

By KARL S. TWITCHELL. First published in 1947, this well-known guidebook to a relatively little-known but important country is brought up to date through mid-1952. This second edition includes revision of factual data, a new chapter entitled « Developments since 1948, » and fifty pages of new illustrations. The new final chapter is particularly concerned with developments in oil and transportation.

312 pages. Illustrated.

\$ 5.00

THE DIPLOMATS

Edited by GORDON A. CRAIG and FELIX GILBERT

This diplomatic history of the 20 interwar years is the first to examine that fateful period through the eyes of the men entrusted with the negotiations in the capitals of darkening Europe. More than 30 of the most important diplomats of the time are covered by a group of distinguished contributors including Gordon Craig, Richard Challenger, Paul Zinner, Hajo Holborn, Roderic Davison, Stuart Hughes, Theodore von Laue, Dexter Perkins, and many others.

720 pages. Illustrated.

\$ 9.00

CRETE

A Case Study of an Underdeveloped Area

BY LELAND G. ALLBAUGH. This is the report of a study carried out by the Rockefeller Foundation in an effort to discover what kinds of assistance can be usefully given to underdeveloped areas, and in what ways. It is hoped that the results will be useful to many kinds of specialists: government and foundation officials, foreign aid missions, private investors, etc.

604 pages. Maps. Illustrations.

\$ 7.50

Order from your Bookstore

PRINCETON UNIVERSITY PRESS,

Princeton, New Jersey, U. S. A.

طالما يذكر بعضها معه في احاديث العرب واشعارهم ولقد مر معنا قول بعضهم :

أهل الحورتى والبدو يبارقون والقصر ذى الشرفات من سداد
وإذا ما اختلفوا في باقى الحورتى لانهم لا يختلفون في بنائه
«سبار». فإن الاثير يذكر ان يانه «يزدجرد الاثير» حيث
سأل عن منزل يحيى ، فدل على ظاهر الحيرة فدفع اليه «بهرام
جور» الى «التمان» بأمره يناء الحورتى مسكناً له في
بوادي العرب» .

وقال «الميثم بن عدي» ان الذي امر ببنائه هو «التمان
ابن اسرى القيس» . وكان قد ملك ثمانين سنة ، وبنى الحورتى
في ستين سنة . بناء رجل له من الروم يقال له سبار فكان يبنى
الستين والثلاث ويغيب الحس ستين ، وأكثر من ذلك واقل ،
فيطلب فلا يوجد ثم يأتي فيحتجب... ولم يزل هكذا ستين عاماً
حتى فرغ من بناه .

وسدد التمان على رأس القصر ونظر الى البحر تجاهه والبر
خلفه ف رأى الحوت والطي والخيل ، فقال ما رأيت مثل هذا البناء قط
وتساءل المنية لسبار ان يتفلسف فقال لاني اعلم موضع آخرة
لو زالت لسقط القصر كله ، فقال التمان : «أين فيها آخرة غيرك ؟
فقال : لا ، قال : لا جرم لادعنا وما يعرفها أحد . ثم امر به
فقدف من أعلى القصر الى اسفله فتقطع (٢) . فضررت العرب فيه
المثل فقالوا : «جزاء سبار» للذي يصنع خيراً فيجازى شرأ (٣)
نام الليل

كنا ذكرنا ما كان من امر ابرهة وبنائه «القليس» بمناء ،
وكتابه الى «البجاشي» بأنه يصيرف اليها حج العرب . وكيف
ان احد النساء ارسل من احدث فيها ، فغضب ابرهة وحلف
ليسيرن الى الكعبة ليهدها .

ويكمل ابن اسحاق حديثه فيقول : ان أبرهة امر الحبشة
فتيات ، وساروا بالليل الذي ما سمع بدومه العرب حتى استعظموه
وفي طريقه الى مكة خرج اليه رجل من اشراف اليمن رجلاه
يقال له «ذو ثمر» لبعده فاسره ابرهة... ولما كان هذا في ارض
«ختم» عرض له «ثعلب بن حبيب» الخنمي قبيلتي خنم
«شهران ونهاس» ومن تبهم فكان نصيبه ما اساب «ذو ثمر»

(١) ص ٢٨٧ ج ١ - الكامل في التاريخ لابن الأثير

(٢) ص ٤٩١ ج ٢ - معجم البلدان

(٣) ص ١٣٤ ج ١ : الميداني

وتابع ابرهه سيره حتى مر بالطائف، فخرجته تصيف يقدمون الطاعة ليصرفوه عن بيتهم «اللات»... وارسلوا معه «ابا رغال» يده على طريق مكة، الا انه مات عند «المنس» فرجعت العرب قبره ولما نزل ابرهه هناك، بحث بحيتي الاسود بن مقصود فاستاق اموال تهامة... وكان اهلها قتلوا رجلا اسمه «ابرهه» ان ينادي بحجج القليس واصاب فيها مائتي بعر ابعد المطلب كبير قريش وسيدها... وهمت قريش وكثانة وهذيل ومن كان بالحرم بقتاله، الا انهم عرفوا ان لا طاقه لهم به.

وطلب ابرهه سيد قريش بعد ان اخبره انه لم ينجي الا هدم البيت، ولا حاجة له بمجرمه... فاطلق عبد المطلب اليه فقابله ابرهه بالترحاب، وكان بينهما ما ذكرناه سابقاً، من طلب ابن هاشم اليه فقط لانه ربهما ولان البيت رباً يحميه.

وخرج عبد المطلب بابله، وأمر قريشاً ان يتحرزوا في شعاف الجبال، واخذ مع نفر من قومه يستصرون وب البيت على ابرهه، ثم انطلقوا من مكة الى الجبال ينتظرون ما ابرهه فاعل.

واصبح ابرهه مجتمعاً على هدم البيت فبأ جيت وهاً فيه، وكان اسم القيل محموداً، وعندئذ اقبل يغيب بن حبيب واخيه بأذن القيل وقال: «ابرك محموداً وارحم راشداً من جيت فاك في بلد الله الحرام». ثم ارسل اذنه فترك القيل، وتفرق ابن حبيب حتى صعد الجبل.

وضربوا القيل ليقوم فأبى، وقلوا به الكثير عتياً، فوجهوه الى ابن فقام يهرول، وكذلك الى كل الجهات الا جهة مكة ان وجهوه اليها برك.

وارسل الله عليهم طيراً من البحر امثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة احجار تنقاره ورجليه، كالخس والفس، لا يصيب الحجر منها احداً الا هلك، لانها كانت تحترق جسد الرجل من رأسه.

وطلبوا النجاة ولكن ابن المقر؟ وخرجوا يتساقطون بكل طريق، واصيب ابرهه في جسده، فكان يتساقط اغلة اغلة، حتى ما وصلوا به صنعا، الا وهو مثل فرخ الطير ومات هناك (١) وفي هذه الحادثة يقول تعالى (٢) «الم تر كيف فعل ربك باصحاب القيل، الم يجعل كيدهم في تضليل، وارسل عليهم طيراً

(١) ارجع: ص ٢٩ - ٢٨ السيرة
(٢) القرآن الكريم - سورة القيل

ابايل، ترميم بحجاجة من سجيل، فجلهم كمصف ماكول» (١)
اليوم الرب

يقول تشر Thatcher انه لا يوجد بين القصص المتداولة في زمن محمد ذات قيمة الا «اليوم الرب» او تلك المسارك الداخلية التي كانت تقع في البلاد الحرة بين القبائل (٢). ومن البديهي ان لا نتحدث هنا عن كل هذه الايام فهي كثيرة، والحديث عنها، وحدها، يحتاج الى كتب، ولهذا نقف على بعضها كحرب «البسوس» و «يوم ذي قار» ا

البسوس

نجاور «جساساً بن مرة» خاله «البسوس» التميمية، وكان لها ناقة - وفي رواية اخرى ناقة لجارها من «جرم» اسم «سعد» - يقال لها «سراب».

وتحرك كليب ابل بالناقة، فتنازع عفاها حتى قطعته، وتبيع الا بل.

وكليب وائل حامي مواقع السحاب وعبر الوحش، فكيف ترد سراب مع ابل؟

ولهذا انكرها حينما رآها واشتد عليها بسهم فرسى ضرعها. وكفهر اذلة الكينة وهي ترغو حتى تجي. البسوس فتصبح هذه والآلهة والجراء ا
وتنشد اشعاراً يثلب لها جساس.

فهب ومعه صديقه عمرو بن الحارث حتى يدخل على كليب، ويعاتبه جساس فيجيبه: اترك ما نمي ان اذب عن هاي؟ فيطنه جساس وعمرو... وبهذا يجران على «بكر» الحارث. وترنحل بنو شيان.

ويتنصر أخو الهو «عدي بن زيد» شقيق القليل ثم يمل، وهو المهمل الشاعر المروفي، ويستمد حارب بكر... فينصر شهره... ويرتك النداء والنزل... ويحرم القنار والشراب طلباً لتأثر الريب.

وتقتل نار حرب شعواء بين «بكر» و«قلب» وتنبجل البطولة في أروع مفاخرها، وتنظم الحارب، ملحمة على أجل ما تكون الملاحم، لا يتقصها الا عنصر الآلهة حتى ترتقي الى ذروات القصص البطولي الخالد.

(١) ارجع تفسيرها وتفسيرها في تفسير الطبري ص ١٦٤ - ١٨٩ ج ٣
وليكتشفها ص ٤٨٦ ج ٢ ويطالع الكمال لابن الاثير ص ٢٢٤ - ٢٢٤ ج ٢
(٢) ص ٢٦٢ ج ٢ Enc. Brit.

ولا يائي المهليل بأي قبيلة من قبائل بكر أوقع وتطول هذه الحرب التي أثارها قتل ناقة وتسمير أربعين طما حتى صباح بين الفريقين «عمر بن هند» ويردم عن القتال ... هذا القتال الذي كان شؤماً على «بكر» و «تلب» بالسواء، فغضب بالبسوس وناقها المثل فقيل : «أنشأ من البسوس» و «أنشأ من سراب» .

هذه ، وليس لنا ، كما قلنا ، أن نمدد أيام العرب حتى ولا أيام حرب البسوس نفسها ، فنصف وقائماً بالتفصيل وخير ما هنالك الرجوع الى مواضعها في خزائن الادب والتاريخ (١) حيث تستلهم أروع المواضع الشيقة لشعراء اليوم وأديبهم . وكما اشترنا الى كثرة أيام العرب لا بد وان نشير أيضاً الى الطلاوة الممتدة التي يشمر بها القاري ، أحياناً ، والحقيقة ان أيام العرب تمثل نواحي من حياتهم في الجاهلية اجل تحليل . وختاماً لا يسعنا الا ان نشير الى حرب الفجار (٢) بين «هوزان» و «كنانة» ثم الى حرب «داحس» و «النبراء» (٣) بين «عبس» و «ذبيان» ، قبل ان نذكر شيئاً عن ذي قار ، وليرى يوم انتصفت فيه العرب على المعجم .

ذو قار

ما لبكر بن وائل قريب من الكوفة ؟
وبطل هذه الواقعة ، على ما هو مشهور ، هاني بن مسعود الذي استودعه النعمان سلاحه ، فامتنع من تسليمه الى كسرى

غير ان «ابن عبد ربه» يقول : «لم يكن هاني بن مسعود المستودع حلقه النعمان ، وإنما هو ابن ابنه واسم «هاني» بن قبيصة» بن «هاني» بن مسعود ، لأن وقته ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخير أصحابه بها «١» . وهكذا تضارب الآراء ، فما اذا كان هاني بن مسعود بطل ذي قار او حفيده هاني بن قبيصة ؟ ولعل هذا التضارب راجع الى مشابهة الاسمين ... وعلى كل فالبطل هاني .

يقتل النعمان «عدي بن زيد» لاسباب .. فيسمى ابنه «زيد ابن عدي» عند كسرى حتى يبعثه عليه ويستثمر غيبه .. فيخرج الصان يطوف بالقبائل بحثاً عن كسرى ، فلا يجيره حتى يصل الى بني شيان فيلقي بهاني ، ويقم عنده في ذي قار . ويرد كتاب من كسرى الى النعمان يستدعيه على الامان فاستودع هاني سلاحه وماله وأهله

وسلو الى كسرى .. فلما كان من هذا الملك الا ان سجنه «وليل قتله» حتى مات ... وولى مكانه طائياً على العرب ، ثم يطلب من هاني ودائع النعمان ... ولكن هيات ! ليسلها بطل كسرى ~~عدي بن زيد~~ اخذه على نفسه ؟
عدي بن زيد ملك الفرس جيوشه لحرب العرب .

والنقت الاطاحم والعرب في ذي قار
وتنتك نبال الاطاحم اولا بالمرء ... فيحملون حملة المسميت دفعة واحدة على الفرس .

ويشك المطش بالفرس فيميلون الى الشرع فيشتد العرب عليهم فيشتتون لهمهم وتبلي «ذو عجل» في ذلك اليوم بلاء حسناً وتقتصر «بكر بن وائل» كلها بهذا الظفر وينشر صيت البطل هاني ، بالأفاق وترجع العرب أشعار الانتصار في كل سقع (١) .

محمود المحرر

اقرأ

القلم الجديد

شهرية ادبية جامعة

يشترك في تحريرها نخبة من ادياب العرب

صاحبها ورئيس تحريرها

الاستاذ عيسى اللناعوري

المجلد الاول للاشتراك السنوي :

في الاقطار العربية للقرية : دينار اردني ونصف

في بقية الاقطار : ستة دولارات او مايسادها

الاردن - عمان - ص . ب رقم ٣٠٢

- (١) مراجع : القند الفريد : ص ٣٥٥ - ٣٦١ ج ٣ . الميداني : ص ٣١٩ - ٣٢٠ ج ١ . الكامل : ص ٣٨٤ - ٣٩٧ ج ١ .. وغيرها
- (٢) انظر اسوق العرب في الجاهلية والاسلام للاستاذ في ١٤٥-١٦٢ دمشق ١٩٢٧
- (٣) انظر الكامل لابن الاثير ص ٤٢٠ - ٤٣٥ ج ١
- (٤) ص ٣٨٢ ج ٣ : القند الفريد
- (٥) ص ١٠٢٨ - ١٠٢٩ ج ١ تاريخ الطبري
- (٦) ص ٣٨٢ - ٣٨٧ ج ٣ : القند الفريد

حنينٌ هزَّ أعماقي
وحرك جبر أشواقِي
الى دنيا من السحر
وراء الغيم والبحر
فهاهنا الكاس يا ساقِي
ولا تشفق على الباقي
من الحر!

أما يا صاح لي شكوى فهل تسمع؟
وهل ترى لجنّ اللين إن يسمع؟
أنا في غربي الحرساء
مشبوب المراتر

تؤرقني مناجاتي
لدنيا قد هجرناها
وجنات أضناها
على عهد!

هنا يشقى فؤادان
من الهوة بين الآس والآن
هنا كدحٌ وحرمانٌ
وأشواقٌ وأحجان
هنا... في هذه الأرض
نضيمُ زهرة العمر
وراء الدرم القدر
ونقضي الليل في سهول
وافكارٍ شقياتر
كثيرات التهاويل
كأسراب فراشات
على نيران قنديل!

هنالك... كانت الدنيا تاجنا
وكان النسيم يسقينا
نعم الاضلع الحرّي
فأين الآن ما كانا
وأين جمال دنيانا
وصوت تساقط المطر
على شباكنا المنقر

حنين

مهداة الى رفيقتي في متفاني

نقدود الحنين

من اسرة الجبل الملهم

فترويهم



وتغريد الصغيرين
مع القنبر!

وأين «نبيل» يغزونا

شوح رواء الطير

ونور الأعين المنصر

وأين تكوّر القلب

على شفتيك يا «سبل»

ورومة عينك السوداء في الدم
ورقات الجناحين تنادينا الى الضم!

هنا «أت» خسرناها

وأشياء فقدناها

فوالهفة نفسينا

وبأحرقة قلبينا

على المبر

وغافي... أين ما كنا

شباباً بالسنا جنتا

إذا لاح الهوى غنتي

وأبن بشاطيء مفرم

ليالي «الجبل الملهم»

ليالي الحر والشعر

وانقام الصبايات

وغافي... أم هنو الى خلوة...

تسلل غمرة القاتر

وتعلأ اضلعي نشوة

وكم اهنو الى غفوة

على عيب الربي الغض

بها أدرو شبابي

واسمح في خيالي

واضلعي...

أنا الحقل في لطف

وفي شفق

الى وادٍ من الآس

تمتق فيه احساسي

على انقام شادوف

يعرج صدهاء في الريف...

وفي شوق الى غابة زيتون

تلاص زرق البحر وتلوين

بزهارة شذياتر

تهزّ مباحراً على

برعشة طيبها الدامي

رغاتي أملاً وأكامي

على «شوران»، الفكرى... أجدوني

الى دنياكم الحلوة

ولو بالذكر والومر

فأني ههنا اشقى

بشوق جدّ مكبوتر

وقلب خارق متعب!

فأحلى

سنا اطلالة المركب

على ميناء بيروت

وزهور جبال لبنانو

هنالك... حينما تلقى

لنا أهلاً وخللاً

وسعد قرب علقين...

ويرجع وجه دنيانا

جيلة منلنا كانا!!

على هامش كتاب الشابي : حياته ، شعره

بفلم الدكتور احمد زكي أبو شادي

استاذ الادب العربي بمه آسيا في نيويورك



متأخر بحكم الظروف الاجتماعية المعروفة ، فلم يتجاوب ذلك الوسط معه ، ولكنه ارتفع فوق الوسط كما ترتفع المسارة فلا تحس بها الأرض التي تحتها ولكنها تنسج الى مسافات بعيدة .

وفي بداية الكتاب اهتم المؤلف بالتنبيه الى ان حمة اسم شاعرنا هي الشابي لا الشابي ، نسبة الى الشابة إحدى ضواحي مدينة [نوز] اكبرى بلاد [الجريد] بالجنوب التونسي . وهذا غير محمول في الشرق العربي الذي يميل اهلها عادة الى تخفيف التعلق بالامام - ولا سيما في مصر - ومن ثم نطقوا اسم شاعرنا بالحق بالياء المحذوفة والياء المدودة ، وجاراهم الخاصة في هذا التعلق .

وقد اعجبنا بتحليله للعناصر التي اسهمت في تشكيل حياة الشاعر واغلبها مزيج من الاحزان والحمران ، وبالحامض من عناصر ائمة تأملت على كثيرين من الموهوبين قسرتهم سهرأ وضحت بهم لتتم نورهم الوهاج النبت من احتراقهم .

وبين الحيلوط التي حاكها الاستاذ كزرو في نسج سيرة الشابي بيئة الطبيعة الجميلة التي حفت بالشاعر ، ودراسة الواسعة التي انتهت بتخرجه من كلية الحقوق التونسية في سنة ١٩٣٥ . وهو في الحداثة والعشرين ، ونسبته بوفاته والده عائل الاسرة ، وفنسه في زواجه ، وصره الطويل المؤلم الى ان توفي في الثامن من شهر ايلول « سبتمبر » من سنة ١٩٣٤ غير متجاوز خمسة وعشرين طمأناذ . وقد مع الربيع في آذار « مارس » من سنة ١٩٠٩ يقول المؤلف الكريم في رسالة ادية الينا بتاريخ الخامس من مايو سنة ١٩٥٣ جاءنا اثر تسلفنا كتابه المنتع : « يسرني ان تنفضوا ابداً رأيكم ... خصوصاً وان لكم صداقة شخصية قديمة بالقييد الشابي ، ويود لكم الفضل الاول في تعريف القراء بلذة منذ عشرين سنة مضت وحتى اليوم ، واتم تكتبون عنه في مناسبات مختلفة دراسات عميقة قوية ، ومع ذلك فان ادب

هذا كتاب ممتاز لاديب ممتاز عن شاعر ممتاز . الفاحد نوانخ الادباء التونسيين السيد ابو القاسم محمد كرو من خريجي دار المعلمين العالية ببنغازي ، ومن الشباب الناضج الواعي الوطني الثيور الذي درس وساح وفكر ، ثم بدأ يركي عن معرفته لآباء الضاد جيعاً ، فأخذنا بنسج من شعره المنشور في كتابه « كفاح وحب » ، ثم نفع العربية بدراسة شامة لحياة ابو القاسم الشابي وشعره ، سيشتمها بدراسة اضخم .

وتقع هذه الدراسة التي نحن صدها في كتاب بنظم ثمانية و ثلاثين ومائتي صفحة من القطع المتوسط مطبوعة طبعا بنفاً ومزدانة بصور ملونة جميلة للقصاصات البليغة التي اتيها او على الاصح لاهمها برفقة الفنان ع . شوال ، وقد عثت باخراساً في صورة جذابة المكتبة العلمية ومطبعتها في بيروت . وما كان الاستاذ كزرو ولا شاعرنا البقري ابو القاسم الشابي بحاجة الى شيء من الهرج والزويق ، ومع ذلك فانه يهيجنا ان نرى الطبع الانيق والشعر الانيق والرسم الانيق في مثل هذه الوحدة الجميلة الحلابة .

وبروح العلم ، واسلوب الاديب الشاعر الملم ، يحسن الاستاذ كزرو في تقسيمه الكتاب وفي عرضه مواد فيحدث به مقدمته البليغة عن الحياة الثقافية في تونس القديمة ، ثم عن النهضة الحاضرة ، فمن حياة الشاعر وبيئة الاجتماعية ، وعن تأثره بالادب المهجري ، وعن طاقته التصويرية والتبصيرية ، ثم عن زواجه وحبه وعن مؤلفاته ، ثم باثينا بمختارات شاملة من شعره فيقسمها قسمين - اولها ما يرجع الى ما قبل العشرين ، وثانيها ما يرجع الى ما بعد العشرين من سني الشاعر حتى وفاته ، ثم يختم كتابه بنماذج رائعة من نثر القيد ومعلمه بثابة شعر منشور . وليس بوسنا في هذه الامانة ان نتناول تفاصيل ما عرضه المؤلف التفاضل تمهيداً للكلام عن ائمة الشابي ، ولكن بحسبنا ان نغير الى ان النابعة ظهر - ككتيب من النوانخ - في وسط

التي نجحت لدينا منذ سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٥٦ م . من أسمى
الأماسي الأدبية المتعددة التي تكتنيناها في حياتنا المضطربة .
أما وهذا المصدر الهام فدراسة غنية الشافي ليس تحت أيدينا
فليس لنا إلا أن نشاطر الأستاذ كرو الأمل في أن اصداقه الفقيه
العزيز ، وفي مقدمتهم الأديب الموهوب الأستاذ محمد الحليوي ،
وشقيق الفقيه الأستاذ محمد الأمين الشافي ، سينتكون اختياراً
من إناذ الآثار الباقية للشاعر الفقيه من أيدي أسرته ونشرها
للعالم العربي ولعالم المستشرقين ودلرسي الأدب المقارن ، في ذلك
تتبرير للأسرة بالذات وتبرير لابناء الضاد جميعاً .
وبعد ، فقد رأينا الأستاذ كرو يتحدث عن تأثير الشافي
بالأدب المهجري ، وعندنا أنه لم يتأثر به أي تأثر خاص ، ولو

الشافي لا يزال بحاجة كبيرة الى البحث والكتابة والدرس . ولم
كان مؤسفاً حقاً موقب أهله بعد موته . ورغم مرور ثمانية عشر
عاماً على وفاته فانهم لا يزالون مصرين - في عناد الحق والحيطة -
على عدم نشره ، لا لسبب سوى غلبة محبة وإفهام متحجرة ،
وهكذا لم يجد مناسباً من العمل بكل ما لدي من جود وإمكانات
على خدمة هذا الفقيه المكتوب في حياته وبعد موته . لقد كان
أهله سبب موته المادي ، وهام اليوم يناسرون على قتله المنوي
فيرفضون في عناد نشر مؤلفاته ودبرونه المدد . للطبع رغم كل
العروض المغرية التي عرضت عليهم . وقد كان الفقيه أعده للطبع
وأتفق معهم - حسبما اظن - على طبعه في مصر ، ثم عاجله الموت
قبل أن يرسل اليكم الة بوان يوم واحد . هذه حقائق لتستدري
إذا كان لكم علم سابق بها أم لا . وقد رأيت - كاسد مواطي
الشافي - أن أنشر عنه كل ما هو عدي من أدبه ومعلومات حياته
خدمة له وللأدب العربي الذي ينز بالشافي فكان أول عمل قمت
به هو نشر كتاب يشمل دراسة طويلة لحياة الفقيه وبشيرة مؤلفاته
ثم عرض نماذج مختارة من شعره ونثره لتكون لدى القراء صورة
كاملة عنه . ولست أدري مدى نجاحي في عمل هذا ، ولكني أعلم
مدى إخلاصي فيه وحيي للشافي . على أنني سوف لا ألتفت
هذا ، بل أنني سواصل العمل على إخراج كتاب سمي عن الشافي
يكون أكبر مرجع لحياة وأدبه وأما الآن فقد عدت هذا الكتاب
الذي يحتاج الى زمن طويل كي ينجز على أكمل وجه مستطاع .
وأنني أرحب سلفاً بكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم وتوجيهاتكم ،
ويسرني كل السرور أن ألقى بكم كل اهتمام وعناية ومودة ...
وأنا لنبادر فتقول إن العمل المجيد الذي قام به الأستاذ
كرو هو في حد ذاته خدمة جليلة لذكرى الشافي وأدبه ، ونحن
على علم بما ذكره ، وقد كانت رغبة الفقيه العزيز أن تكتب مقدمة
دراسة تحليلية لديوانه ، وأن تتولى إصداره في مصر « جمعية
أبولو » التي كان في طليعة أعضائها المراسلين ، وأن وصيته لم
تفخذ . لقد نجحت لدينا رسائل كثيرة من الفقيه العزيز تعد
بأسلوبها العالي وبصراحته الوجدانية من عيون الأدب الفكري
والعاطفي معاً ، ولكتبتها مع مئات الرسائل الأدبية من أدباء
و شعراء اعلام شرقاً وغرباً . وبينهم شعراء وأدباء بارزون في
المهاجر - قد ضاعت تحت وطأة العهد البائد في مصر قبل هجرتنا
وبدها ، وكما نؤثر ضياع بقية مكتبتنا المحزونة على أن نحال
الأيدي المتطاولة المنجسة ذلك الأدب الحبي والتأريخ الأدبي
الحاضر الذي سلب منا ، وقد جاء ضياع تلك الرسائل القيمة

LES CAHIERS DU SUD

10, Cours du Vieux Port — Marseille

Directeur - Fondateur : JEAN BALLARD

Rédacteur en Chef : LÉON - Gabriel CROS

Les Cahiers Du Sud, l'une des doyennes parmi
les revues françaises demeurent aussi
l'une des plus jeunes

Ils sont sans complaisance au goût du jour, mais
attentifs aux traits durables de l'époque.

Ils maintiennent les positions
essentielles de l'esprit

Ils publient dans chacun de leurs numéros:
des textes, des études groupées autour d'un
auteur, d'un thème, d'une question ;
des anthologies poétiques étrangères ;
des textes curieux, rares ou inédits
français et étrangers.

Ils ont publié un numéro spécial sensationnel
sur l'Islam et l'Occident

Ils répondent ainsi aux aspirations des lecteurs
cultivés qui, s'efforçant d'approfondir ce que
l'on se contente souvent d'effleurer, croient
de plus qu'on s'affirme de son temps en ne
s'exilant d'aucune époque.

Abonnements 1953 :

France, Six numéros dans l'année, frs : 1.250
Etranger, « « « « « 1.500

جاء في مطلعها :

إشعكي يا رمال من هدير المياه
غاب ملك الخيال ونجلى سواء
ذاك بحر الدموع من بكاء الزمان
فبو دوماً مروع من مأك الهوان
كل حسن بناه بيديه يزول
ومراراً رثاه وأطال العويل
إشعكي يا رمال من فتوى العظم
أنا عبد الجلال الضرير الحكيم

وكان الثاني كما كان ناجي - رحمة الله عليها - معجباً
بكتنا التصديتين ، وكلاهما تسبج على منوالها . فإذا أراد الأستاذ
كرو التوسع في مباح تجاوب الثاني مع شعراء عصره فلينتجه
الى الشرف قبل انجاهه الى الغرب .

ومها يمكن من شيء . فانا نؤمن بان الثاني كان ذا عبقرية فنية
اصيلة في سنتي الاناقة ، كما كان وطياً عظيم الاخلاص متأهباً
للوظائف في حياته ، وفي هذا يخالف عن ناجي الذي اقتصر جل
شعره على تجليات الحياة العجائية وغاياته العاطفية ولم يسهم في
الحركة الوطنية . وكان من اسباب ولوعنا بالثاني الذي يوصف
إجمالاً بأنه الفنان المبدع المخلق ، والانساني النبيل ، والوطني
النبور المضحى . وقد حقق بثانيته الشريفة تأملياً ان يكون
الشاعر زعيماً هادياً بين بني قومه لأن لم يكن أيضاً زعيماً انشائياً .
وفي هذه النزعة والتعبير عنها كان تجاوب الثاني معنا كاملاً وكنا
نعمل كجنود في فرقة واحدة .

اما ما تفرحه الى جانب استقصاء التفاصيل لدراسة فهو شرح
شعر الثاني وقده تقدماً فياً مقارناً قصيدة فقصيدة ، فننتج عن
ذلك دائرة معارف ادبية لقوية فنية واسعة ينحدم بها الادب
الحديث كما تصف به مواهب شاعرنا الخالد الذكر .

إننا لمشغوفون بخوارون بتدريس شعر الثاني وادبه
وبالتحدث عن سيرته الزكية ولن نخل ذلك ، ونعتقد ان قراء
العرية لن يتلوا من قراءة ما كتب وما سيكتب عنه ولو تمددت
التراجم والدراسات ، ونعتقد ان كتاب الأستاذ كرو هو من
خير الدراسات التي قرأناها عن أي شاعر او اديب ، فاليه نكرر
التبته كما نرجوها الى الناشرين المحسنين .

محمد زكي أبو شادي

نيويورك

جاء شعر او ينه في سياغة الكلاسيكية مع اختلاف المعاني -
مما لا لبس فيه جيران او سواء ، مثلما تقع الحافر على الحافر كما يقال .
لقد كانت للثاني ذاكرة فوتوغرافية ، وهو الذي اتم حفظ
القرآن الشريف في التاسعة من عمره حفظاً كاملاً ، كما كان له
المطالع واسع - عن طريق اللغة العربية التي لم يكن يعرف سواها -
على آداب شتى مترجمة ، لا على الادب العربي وحده ، وكانت له
قبل كل هذا وبدء لودعية اصيلة خلقت فوق كل تجديد وتأثر
حتى منذ نشوء انظاره ، وعلى ذلك لنا ان نعتقد ان اية مشابهة
بين شعره وبين بعض الشعراء المهجريين هي من باب المصادفة
لا اكثر . ولعل اعظم تجارب الثاني كان مع زملائه شعراء
«ابولو» حتى قبل ظهور مدرستها . ونحن شخصياً اولعنا بالثاني
لا لعبقريته الفنية فحسب ، بل لانسانيته الرفيعة ولوطنيته السامية
ايضاً . وكان التجاوب بيننا تأماً مع تمزج هو باناقة لا تعرف لها
نظيراً الا في قصائد الشاعر الفحل العظيم بشارة الخوري . مثال
ذلك موسيقى الثاني في قصيدته الخالدة « صلوات في هيكلك
الحب » التي يقول في مطلعها :

عذبة أنت كالنغلة ، كالاحلام ، كالبحر ، كالصباح الجديد

فهي متجاوبة مع قصيدة « عرس المزم » التي كان يسميها
الثاني ديوان « زينب » وقد جاء في مطلعها شعر المسبوق الى طراوة :

عذبة أنت في الخفاء ، وفي الجهر ، وفي الهجر ، يا أغاني الظلام
بلغي العاشق الأمين مدى العمر شقاء قلبه المهتم
وارقني أدمعي ، لحسي عزاء أن يسر الحبيب من زلاي

ومثال آخر قصيدته العظيمة « إرادة الحياة » فانه متجاوب
في مغزاها مع الشطر الاخير من قصيدة « النهضة » وديوان « ديوان
الشفق الباكي » ، وقصيدة « الحياة » والصباح الجديد التي يقول في مطلعها :

اسكني يا جراح ا واسكني يا شجون ا

فهو متجاوب فيها بطراز موسيقاها مع قصيدتين رائعتين هما
قصيدة « الوداع » « قطرة من ريع السجدة » والثاني « وقد جاء في مطلعها

إنتب يا شعاع نبض قلبي الخزين

حان وقت الوداع ليت لا يحين

إنتب يا شعاع أنا ذاك القرب

إن روحي مشاع في مذاك العجيب ا

وقصيدة « بد الصب » ديوان « اشته ونللال » التي

عوامل شقاء الأسرة في مجتمعنا

بقلم نزار مؤيد العظم



يجب الاتكون الا من اشخاص اسحاء سليمي البنية والقل ، اما المصابون بامراض وطعاهات جنسية وراثية فالواجب بحتم تعليمهم تعليماً جنسياً ثم لا بأس من الدماح لهم بعد ذلك بالزواج من امثالهم . فوجود طاهات وراثية تسبب انتقال المرض ذاته الى الابناء او تخلف فيهم استعداداً كبيراً للإصابة به . وقد يخفي هذا المرض في جيل ل يظهر في جيل اخر يليه . واصبح مرفوا لدرجة البداهة ، ان الاطفال يرثون عن ايوهم مجموعة من الاستعدادات الطبيعية ، عضوية ونفسية ، كما يرثون عن طريق التربيّة العادات الأخلاقية التي يربونها في ايوهم . وما بأس واتس ذلك الطفل وهو يرى نفسه موضع شفقة اقارانه او استمراهم لمعاملة ورنها او لمرض خبيث انتقل اليه من احد والديه .

٢ - عدم التوفيق في اختيار شريك الحياة ، فبازال معظم الآباء والأمهات يقيمون تقليداً أيضاً غير مشروع في تزواج ابنائهم وبناتهم ، قترامهم يجربون الفتاة على الزواج برجل ربما لم تزه مطلقاً او ربما كان في سن ائها ، ولا يجملون لراها وزناً او اعتباراً ، بل يكفي ان يال الحاطب اعجاب الوالد ورضاه ، حتى يتساموا على الفتاة ، مثل المسكنة في زواجها ككل شاة تباع في سوق الجزارين ، اذ غالباً ما تكون الفتاة من نصيب من يدفع اكبر ثمن او سداق ثم تراها تدفع الى الزواج قسراً وتبدأ معه حياة تكون غالباً زاخرة بالآلم والمذاب والشفاء .

والحقيقة التي لا ريب فيها والتي مازال معظم الآباء يجملونها هي ان الزواج لا يكون سبيلا الى الحياة المأدبة السعيدة المطلقة ، الا اذا اعتقد الاخذون به انه زواج ابدى ، ليس له حق الانحلال ، وكان على اساس متين من التفاهم العقلي والوفاء والانسجام بين الطرفين .

وكذلك الامر في مشكلة تعدد الزوجات، فهي تكاد تكون سيئاً قوياً في تحطيم سعادة الأسرة في زماننا هذا . ولا اعني

الأسرة : في معناها التقليدي ، هي مجموعة افراد يتصلون فيها بينهم صلة الدم ، من جهة الاب او الجسد الاكبر . غير ان الأسرة في مفهومها الحديث ، لم تعد تضم ذلك العدد الكبير من الافراد ، بل اقتصرت على الابوين والابناء ، حتى سن معينة ، فتسكير الابن ، تزوج واختل عن ايوه . وكون مع زوجه اسرة جديدة مستقلة غالباً عن اسرة ابيه . وكذلك البنت ، ما ان تسب حتى ترك اهلها ليتزوجها ، فتكون معه اسرة جديدة .

فلا أسرة اذن هي الخلية الاساسية التي تنهذي المجتمع وتحافظ على بقاءه ، وصلاح الأسرة وانتظامها ، يعني صلاح المجتمع وانتظامه . وفسادها واضطرابها ، يعني بفساد المجتمع واضطرابه وانحلاله . لهذا فان كل علاج لا يتناول الأسرة بالدرجة الاولى ، يكون عديم الجدوى وهو بمثابة مسكن يخفف من حدة المأه مؤقتاً دون ان يقضي عليه . وأن ما يأتية مجتمعا من تهليل وارتيابك وشفاء وعدم استقرار ، يسود في اصفه الى عاملين اساسيين يقوضان دعائم الأسرة العرية . هذان العاملان هما : الجهول والفقر . واعتقد ان الجهول اعمق تأثيراً من الفقر وانشد نكالا على الأسرة ، ولا يتسع المجال في هذه المقالة لكي اضرب الامثال لناس في ذلك . فكم اتج الفقر ثامنا من عبقريات وكم تشد من همم واكزكي من مشاعر . والفقر الم في حد ذاته ، وليس كالالم بائناً للميصرية والتبوغ . وكمن أسرة غنية مرفقة لم يفس عنها غناها ولا ترفها شيئاً من الشقاء والتعاسة والتقلق . ومن هذا يتضح لنا خطر الجهول ومسدى تأثيره في تحطيم صرح سعادة الأسرة ودعائم استقرارها .

وكلفة الجهول هذه تقمل فروعا عديدة اهمها :

١ - جهول معظم الناس لاملال اساسي في سعادة الأسرة ، هذا العامل ، هو الاهتمام الزائد في التنحري عن الحالة الصحية لسكل من المرشحين للزواج ، ذكر أكل ام اشي . فلا أسرة

بقولي هذا اني انتقد مبدأ تعدد الزوجات في اصله ، فقد جاء في دين كامل لا ليس فيه ولا نقصان ولا مجال فيه لمزيد أو مبتدع . ولكن اباحة تعدد الزوجات ما حدثت الا لظروف سياسية واجتماعية واقتصادية امتاز بها فجر الاسلام وصدره ولا ارى في زمانها هذا تشابهاً بين تلك الظروف وظروفنا الحاضرة . ثم ان الاسلام نفسه زهد الناس في تعدد الزوجات وحزم بعدم امكان العدل بين الزوجات مهما بلغ حرص الرجل على ذلك . والعدل هنا ، هو العدل في الحب والاهتمام والرعاية اذ كيف يتسنى للرجل ان يتحكم بقلبه وباطفته فيوزعها بالعدل والقسط بين أزواجه ، والحب هبة الهبة والقلب لم يكن يوما طوع امر صاحبه ، والمالطة دائماً متردة على ارادته .

٣- وثالث فروع الجهل ، هو الزواج في سن مبكرة في زمان بلغ من التقيد حداً لم تبلغه من قبله أزمان سلفت ، فالتألب ترى ان الفتاة تدفع الى الزواج ولما تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها حين فتاة هذا سناً ، لتعجز عن تحمل أعباء الأسرة . من حمل ورضاعة وتربية اطفال ورعاية زوج . وهي لا تقدر بالطبع مسؤولية الحياة الزوجية حق قدرها ، لعدم نضوجها فكرياً وجسمياً ولضعفها من النظم ومن تدبير المنزل واصول تربية الاطفال . وقد توكل علماء الاجتماع بعد دراسة كافة المجتمعات البشرية وخاصة المعقدة منها الى ان خير زواج وأسلمه ، ما كان للفتاة حين تبلغ العشرين ، وولفتي حين يبلغ الخامسة والعشرين . إذ يكون الفتى عندها قد تمكن من مستقبله بضع الشيء ، واصبح قادراً على تحمل المسؤولية واتامين ثقتات الأسرة .

٤- ورابع فروع الجهل ، هو عدم اعتدال الرجل في التنسل والاتصال الجنسي ، والحروف ان الطبقات الفقيرة الكادحة ، أكثر توالداً من الطبقات الغنية المتلعة ، فتكاد المرأة فيها تند طفلاً في كل عام . مع ان الاسلام جعل فترة الرضاعة والنظام عامين كاملين . ومن البديهي ان المرأة إذ تند طفلاً في كل سنة لتعجز عن الساة بأطفالها الكثر وتزييتهم والسهرة على نظافتهم وصحتهم . وكذلك فان نصحها قد تسوء . من كثرة الحمل والوضع والاحماض والتعب في الترية ، فتسبب اضطراباً خطيراً في حياة العائلة ، يعطي أسوأ النتائج .

٥- وخامس فروع الجهل واطهرها ، هو عدم معرفة الابوين لاصول الترية الصحيحة ، الخلفية الزوجية منها والصحية . فعظم الآباء والامهات ما زالوا يستقدون ان الطفل سرير في

Princeton University Press

THE ARABS : A Short History

By PHILIP K. HITT. Revised in 1949 and now in its fifth printing, this condensation of the author's world-famous *History of the Arabs* is addressed to the layman who seeks a brief and readable history of the Arab world.

« Deserves a place among the textbooks of cultural history, where it will be both profitable and delectable to students as well as to their teachers *Ars Islamica*.

236 pages. Maps

\$ 3.75

IRAN : Past and Present

By DONALD N. WILBER. Based on official Persian source materials and firsthand knowledge, this book gives a fund of information on modern Iran and a review of its history from 4000 B. C. to the present.

« The best short summary of Iran's two and a half millennia of history yet to appear in a half century. Seventy per cent. of it is devoted to the too-often-neglected Islamic half of the history, which the author, a specialist in art, architecture, and archaeology, ably illumines. The section concludes with some penetrating observations on the character of Iranian culture which are basic for any appraisal of modern crisis and change. » — *Middle East Journal*

246 pages. Illustrated.

\$3.50

ATLAS of ISLAMIC HISTORY

By H. W. HAZARD and H. L. COOK, Jr. This handsome atlas with 21 full-color maps, a gazetteer and a record of Islamic history from the 7th to 20th centuries fills a long-felt need of students of the Near and Middle East, historians of medieval Europe, the Mediterranean world, and the Moslem Far East.

« Indispensable to all nonspecialists interested in the Muslim countries. The maps are clearly printed and brightly colored, and it is valuable to have a century-by-century picture of religious frontiers, kingdoms, and cities. » — *American Historical Review*.

50 pages. 14x11 inches. Revised edition 1952 \$ 4.00

Order from your Bookstore

PRINCETON UNIVERSITY PRESS,

Princeton, New Jersey, U. S. A.

طبعه وخيبث وولوع بالبيت والاذى و«الشقاوة» وان الزجر والقمع والتهديد والضرب والتخويف «خير وسيلة لتربية الطفل ومنه عن القلب وجعله صورة مصغرة عن الرجل الرزين الهادى، والمرأة المثرة الوفور . جاهلين ان للطفولة خصائص تميزها . وان أبرز هذه الخصائص هي القلب ، فيالقلب يعبر الطفل عن وجوده وعن فرجه بهذا الوجود ، وبه ينمي جسمه ويصرف طاقاته الزائدة ، وبه يتعلم ويتعرف على ما يحيط به ، وبه يفصل نفسه عن محيطه ويتخلص من استقطابه القاتل «الايكوساتريزم» وقد رايت كثيراً من النسوة في مجتمعاتنا يخافن بأن أطفالهن هادئون ، لا يلبسون ولا يملأون الدار سحجاً وضجيجاً، وأنهن يتبنن في اسكاتهم وردعهم ذكر الفيلان والفارسات امامهم ، فاذ لم يفلحن في ذلك «جأن الى الضرب والحبس ومنع الطعام عنهم . ولمسري اني ازاء هذا التفكير المقلوب ، لا يعني الا ان اركني لمؤلا، النسوة وان أبترهن بأسوأ مستقبل لاولادهن . وان اعلن لمن بصراحة ان أطفالهن الهادئين المتزين ليسوا إلا مرضى في اجسامهم ، وسيعملون مرضى في عقولهم وتحكيهم . وسيتشأنون ومعاول النفس تهديكياتهم وسيكون لديهم رأس مال وفور الحظ من تهليل الشخصية واستخدام الفتاوى النفسية» ثم انك ترى الاب والام يعجزان عن التهديد لحي، طفل جديد كان فيها أطفالها بان اخا صديقاً سيأتي مما قريب وبأنهم سيسرون به ويحبسونه ويلعبون معه ويلبسون به بل انك لتجدهما يمدان الى احوال الاطفال السابقين وبوجسنان كل عنايتهم وعطفها ومحبتها وهدايتها للولود الجديد ، فتتشبث الفرة قلوب الاطفال الصغيرة وتمتلئ نفوسهم بالحقد والكراهية فيعمدون الى تمزيق الستائر وتحطيم الاثاث والشحط على الجدران بالقبح او يتنازرون ، ليسترجعوا اهتمام ابويهم : وينشأون وروح المداوة والبضاض مناصلة في نفوسهم .

وكثيراً ما ترى الايا، يتشاجرون بإقذع الالفاظ مع ازواجهم امام أطفالهم . وقد يبلغ الحلق والجهل بعضهم حداً يدفعهم الى ضرب نساءهم على «شهد من أطفالهم» فتقطع هذه الصور والمشاهد الحزبة في اذهان الصغار واذا بهم يقبضون آباءهم تماماً فيتشاجرون ويتنازرون وقد يتناولون على امهم وربما على ابهم ويلفون في ذلك شططاً .

واما العامل الثاني واعني به الفقر... الفقر فهو موغل في الشر كرميه الجهل . وهو يخلق مشاكل كبيرة اهمها انه يضطر الاسرة الى التكاتف ضمن بيت واحد وربما ضمن غرفة واحدة

لاتتوفر فيها الشروط الصحية . وان من يقدر له ان يزور المناطق الجنوبية من لبنان ويصن مناطق القفرات والجزيرة والجليل الغربي ، فليسوف يشاهد نماذج حية صادقة للشقاء المهيم . اذ يرى القوم هناك يعيشون في اكواخ وكهوف حقيرة تنه لا يتسرب ضوء الشمس اليها ، وقامهم بهاثهم وسألتهم كوخهم بالعدل والقسطاس . اذ تجد القفرة - قلت القفرة على سبيل التجوز - على شكل مصطبة مرتفعة في نصفها الداخلي ترقد عليه الاسرة، والنصف الآخر منخفضاً قليلاً ترقد فيه الحيوانات مع روثها واقدارها وحشراتنا . وانك لو سألت عن دخل الفلاح هالك لا زاد عن الحلى عشرة او الثمنين ليرة في الشهر . ومن الطبيعي ان الفقر يحول دون تذية الاطفال، به الكبار، بالنفذا الكامل الذي يتطلبه نموهم السريع وفصليتهم المتزايدة . فينشأون ضفاف البيئة صفر الوجوه ، وبهم استعداد قوي لتقبل الامراض الفتاكة والالوية . كما يحول الفقر دون تأمين الثياب الصحية وحاجات الطفولة الرئيسية وقد يحرم الاطفال من اتيال العلم ويدفع آباءهم الى ارهاق اجسامهم الفضة باعمال وصناعات مضنية جيفة لا تلائم مع قدرتهم الجسمية والعقلية . وقد يدفع الفقر كثير من الآباء الى التفرّد والقصوبة والاجرام . وقد يدفع الفقر الآباء الى تآجير اجسامهم وخاصة البنات ، الى المائلات اثرية في المدن للقيام بخدمة البيوت . كما يحصل في الجبل الغربي ومناطق القنوق ونواحي اخرى ، حيث يضطر الرجل لشدة فقره الى ان يدفع بابنته ولما تتجاوز التاسعة من عمرها الى خدمة العائلات في حاة وحسن ودمشق واللاذقية وحلب وغيرها ، لقاء مبلغ من المال عن بضع سنين . وتصور مي برك مستقبل هذه الفئة من الجبل ، التي تمشي على فضلات الموائد وعلى الصفعات والركل والتحقير ، بعيدة عن خان الام وعطف الاب .

هذه هي اهم العوامل التي تسبب شقاء الاسرة في مجتمعاتنا وهي التي لو اردت ان افضل فيها واتوسع ، لاحتجت الى كتاب كامل . وهي هي نفسها التي يجب ان نعالج وندرس ونوضح لها الحلول ويوصف لها الملاج ومن ثم نحقق به ، لكي نصل الى مجتمع افضل وحياتاً أسعد ولكن تستطيع المدرسة ان تؤذي رسالتها وتتصاقر جهودها مع جهود الاسرة لتخلق جيلاً قوياً مؤمناً عظيم النفس . وآمل ان اعود الى هذا الموضوع لاسطر فيه «عوامل تقدم الاسرة وسداتها» .

سوريا - حمّام
نزار مؤيد العظم

الامير مزيد الحلي الاسدي

شاعر «سنان» شيخ الجبل

•••

ما

لا مجال للرؤية فيه ان منتصف القرن الخامس الهجري وما بعده او الفترة التي عاش فيها «سنان وراشد الدين» شيخ الجبل» وفرقه الاماعيلية السورية «الباطنية» في جبال «الشام» هي من اشد الفترات غموضاً واعماظاً واعظماً اُتِرا من الناحيتين الفكرية والتاريخية، ويكفي ان تعلم بانها فترة الحروب الصليبية وعهد صلاح الدين الايوبي ونور الدين الزنكي «الشهيد» و«سنان وراشد الدين» او فترة الصراع ما بين الشرق والغرب فاذا عرفنا ذلك ادركنا لأول مرة اية اهمية تاريخية لها بنظر العلماء والمؤرخين وعرفنا ايضاً بأن التعرض لبحثها من الامور المعقدة والشائكة، ومن المحاولات التي قلما يجتازها المرء بسهولة وخاصة ما كان منها ذو اتصال مباشر بتاريخ الفرقة الاماعيلية السورية «الباطنية» الذي لم يراع فيه التجرد والاصاف والريفة العادة بامانة القام عن الحقائق المطموسة في بطون الكتب والتجري عن الاصول المجردة خالية من الادران والشوائب، اقول ذلك والاعجاب آخذ مني، مأخذه لكلمة اوردها بهذا العدد العلامة الدكتور «فيليب حتي» بكتابه تاريخ العرب خلاصتها بأنه لا يمكن الاعتماد على اقوال المؤرخين عن هذه الفرقة لان جميع كتبها ومصنفات اعلامها قد احترقت ولم يبق بين ايدينا الا ما كتبه عنها اعداؤها مما لا يمكن الاعتماد عليه [وقال الاستاذ الدكتور عمر فروخ بكتابه «دراسات عن اخوان الصفا» «بأن هنالك في التاريخ الاوربي بحثان لا يهجم عليهما كل مؤرخ الا حذراً متباطئاً، تاريخ البابوية في العصور الوسطى ثم تاريخ البلقان في العصر الحديث». وكذلك نجد في تاريخ الفلسفة الاسلامية ناحيتين قلما امن الباحث في مسالكها علم الكلام واخوان الصفا» [الاماعيلين] الذي كتبوا بأسلوب رمزي ولانهم ارادوا فعلاً الا يصل القاري الى مقدمهم يسر وسهولة]. هذه اقوال اتينا على ذكرها لتدل على ما كنا قد اوردناه بنسبائات عديدة بأنه قد نشأ في هذه الفرقة وعلماء وقتهاء وشعرها قلما

يشق لهم غبار وهؤلاء قد وضعوا مؤلفات علمية قيمة هيأوا فيها الاذهان لتقبل الفلسفة الاسلامية وبعض الانتاج الفكري في عصور مختلفة، ومن بينهم شاعر يحق لنا ان نحكم عليه من خلال قصائده بأنه من الجديرين بان يحتلوا المكاتب البارز بين الشعراء المتأخرين. والقريب جداً ان احداً من المؤرخين امثال: بروكلمان او حاجي خليفة او ايقانوف او ماسينيون او محمد كامل حسين او برنارد لويس او موريس باليس او غويار او غيرهم من الذين بحثوا في الاماعليات لم يأتوا على ذكره او يشيروا اليه.

هو الامير مزيد الحلي بن صفوان بن الحسن بن منصور [ابن الدولة] بن ديب [نور الدولة] بن علي بن مزيد الاسدي [ابي الحسن] بن الامير مزيد الحلي الاسدي صاحب [الحلة] العراقية التي ذكرها ياقوت الحموي بكتابه معجم البلدان بقوله [انها مدينة في ارض بابل] ووصفها المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي دعوة الامام المستنصر بالله الفاطمي [بانها مدينة على بعد ستين فرسخاً من بغداد وتسمى ايضاً [الجامعة]] . عرفت هذه المدينة وخاصة بالعهد العباسي بانها عاصمة اماره [بني اسد] او امرأ، بني مزيد وكانت تدعى ايضاً [حلة بن مزيد] نسبة لهذه الاسرة العريقة التي استوطنتها مدة تقارب المئتي عام ونيف اي منذ عام سنة ٣٠٣ هـ الى سنة ٥٤٥ هـ، اما اسرة بني مزيد هذه فقد عرفت ايضاً بتشييعها للفاطميين منذ عهد بعيد بالرغم من وجودها في قطر يخضع للخلفاء العباسيين ولكي تدلل على هذا التشيع وقدمه واصالته اتينا بعض المصادر التاريخية التي تثبت ما الحنا اليه فنقول :

ان هذا التشيع ازداد وضوحاً وقوة في عهد القائم العباسي المنصور للمستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٣٨ هـ حينما اوفد الخليفة الفاطمي القائم داعي دعوة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي البلاد العراقية ليحمل القبائل فيها على شق عصا الطاعة على القائد

العباسي وتأييد القائد البوسني المتشجع
« أرسلان الباسيري » - أبي البركات ،
وجاء أيضاً بأنه عندما احرق ضريح موسى
الكاظم وحفيدة محمد بن علي الجواد وقبور
بني بويه وقبر موسى بن جعفر ومحمد بن

علي انتهى الحبر الى نور الدولة « ديس بن
مزيد » فقطع عليه واشتد حزنه وبلغ منه
كل مبلغ لانه واهل بيته وسائر عائلته
كلهم من الشيعة (١) وجاء أيضاً بكتاب
المؤيد في الدين الى ديس عندما كان

يستغفر القبائل العربية لحرب العباسيين
ما يلي : « والله لقد غنمني في سيدنا الدكتور
هذه الافعال عن مثله تصدرو وهذه الاخبار
عنه تؤثر وتثمر وتنتشر وقال : يستحق منك
يا شيخ العرب ان تجازبه هذا الجزاء ولو
انه من بني يزيد بن معاوية الذين تبرا منهم
فضلا عن بني علي عليه السلام الذين
بتوا الامم (٢) . وجاء بالمهد الذي كتبه المؤيد
في الدين للامير ديس ما يلي : « ولما
استقر محضرة امير المؤمنين عليه السلام
ما حباك الله به من كرم الاعراف
وكونك بالاولاء لاهل البيت عليهم السلام
لمة في العراق » وجاء بالمهد المذكور
ان الامام المستنصر بالله قد لقب الامير
ديس « بالامير سلطان ملوك العرب سيف
الخلافة » صفى امير المؤمنين (٣) .

وجاء أيضاً ان موقعة سنجار كان
على رأسها الباسيري ونور الدولة ديس
ابن مزيد وعلى رأس الفريق الثاني قريش
ابن بدران صاحب الموصل وقتلش ابن
عم طغرل بك وسهم الدولة ابو الفتح بن
عمرو وقد انهزم قريش وقتلش (٤) .
وجاء بأن نور الدولة ديس بن مزيد وقد
طاش ٨٠ عاماً كان فيها اميراً نيفاً
وستين سنة تولى الامارة في سنة ٤٠٨ هـ
بعد وفاة والده ابي الحسن بن مزيد وقد
نازعه اخوه ابي الحسن الامارة فلم
ينجح وكان ابن مزيد هذا من اكابر
اسماء العرب ومن حماة الشيعة (٥) وقال
المؤيد في الدين : فبنت على السير امري

- (١) ابن الاثير ص ٤٤٣ (٢) سيرة
للمؤيد في الدين ص ١٥٩ ، تحقيق الدكتور
محمد كامل حسين (٣) سيرة المؤيد في الدين
ص ١٢٨ تحقيق الدكتور محمد كامل حسين
(٤) ابن الاثير ج ٨ ص ٤٣
(٥) السيرة المؤيدة ص ١٢٤

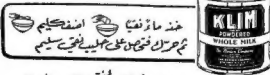


كليم طريقة تعبئة الخاصة تحفظ سليماً

المرحلة الخاصة طرية تعبئة الخاصة
في كل مرحلة من كل مرحلة ، من أجل ضمان
والزبدية والفكر والحيات والمواد الغذائية
الضرورية للصحة الجيدة .

- ١ كليم حليب طرية تعبئة سليمة
- ٢ كليم يحتفظ بجموده بعد دونه براد
- ٣ كليم يحتفظ دائماً بوجوده طرية نوعية
- ٤ كليم الخسنة الحسنة لنمو الأطفال
- ٥ كليم ينشأ في امريات والمأكولات غذاء
- ٦ كليم الطعام المنضج لتغذية الأطفال
- ٧ كليم طرية تعبئة الخاصة
- ٨ كليم تحتفظه مستلياً

ينضج لانه محبوبة في الامم والمواد



خذ ماء نقياً
ثم حرر في حوض على حليب طرية تعبئة سليمة

كليم انتم حليب
المرحلة المنضجة في كل الحساء العالم

واستدعيت من الأمير منصور بن الحسن الاسدي الذي كان مالكا الجزيرة الديلمية بجوار خوزستان في سنة ٤١٨ هـ من الفرسان الجياد من وصل صباحي الى ان حصلت في حلة بني مزيد (١). وذكر بأن ابناء ديس بن مزيد وهما الأمير منصور وبردان وحادثا قد أسروا قرب الكوفة بالمعركة التي حدثت بين خاتركين الطغراني والبساسيري (٢). وجاء ان ديس بن مزيد قد زوج ابنة الأمير منصور «بهاء الدولة» من ابنة أبي البركات البساسيري (٣). وجاء أيضاً عند ذكر موقفه سنجار بأنه قد خرج قريش بن بردان واتي الى نور الدولة ديس بن مزيد فأعطاه منع من لدن الامام المستنصر الفاطمي وانضم اليهم بنو كلب وبنو عقيل وبنو غير وفي هذه الموقعة يقول ابن حيوس الشاعر الدمثقي المشهور (٤).

جيت لدمي الاطلاق ملكا
وغايته يبداد العسكري
ومن مستخلف بالفرس
بداد من الجاهل ولا بدود
واعجب منها سيف مصر
تقام له بنسجاء الحدود

اذن بعد ايراد هذه المصادر نستطيع ان نقول مطمئنين بان هذه الاسرة العربية العريقة من الشيعة الاماعيلية الامامية الذين ساروا على النهج بموالاته الفاطميين، ولكن لا يبقى مجال للاستغراب بعد ذلك اذا قلنا ان [الأمير مزيد بن الحسن الاسدي] اتصل بسنان وراشد الدين في «مصياف» واصبح شاعرا محبوبا فضلا عن اشتراكه بالحروب الصليبية مع الفرقة الاماعيلية التي ساربت تحت لواء صلاح الدين الايوبي للبلاد المقدسة (٥). ولد بحلة العراق سنة ٥٣٨ هـ ومات في مدينة «مصياف» السورية سنة ٥٨٤ هـ حيث لا يزال ضريحه قائما فيها للآن الى جانب ضريح سنان وراشد الدين بحيل «مشهد».

لهذا الشاعر عدد لا بأس به من القصائد المتفرقة في الكتب المخطوطة الاماعيلية تشكل مجموعا دوايقها ما قد اخذنا على حاشيتنا جميعه وتحقيقه. ولقد لفت نظرننا بمجرد دراسة هذا الديوان ان هذا الشاعر الرقيق لا يوجد من عايناه بين الشعراء المتأخرين سوى الأمير نجم بن الامام المنز الفاطمي فكلامها شاعر رقيق وصاف نشأ في بيت عربي ومزج النزل بالفلسفة بانحاءه معشوقا مرموزا وكلامها ايضا دافع عن عقيدته واستحب الموت في سبيلها، وهذا ونلس من قصائده المعقودة انما امام شاعر بالشأن امتلا قلبه بالحزن

(١) السيرة المؤيدية ص ٧٤ (٢) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٤٧

(٣) ابن الأثير حوادث سنة ٤٤٤ هـ (٤) ابن الأثير حوادث سنة ٤٤٤ هـ

(٥) - سنان وصلاح الدين تأليف طارف طلس

وقامته الحزن والمهوم والآلام وحرقة البعاد فذهب يقش عن امل ضائع [وامام] مستور ثم نلس بأنه كان كثير الشوق الى موطنه [الحلة] مراكز امارته العريقة فكان يذكرها دائما وهذا دليل على مساكنة يشتمع به في موطنه من الاستقرار والهدوء وعزة الجانب ووفرة الكرامة والحب والتقدير من ابناء عشيرته واصحابه وقد كانت بالقلل جميع قصائده صادرة عن طبيعة الشاعر المرفه الحس والمهامة بالداطقة الحياشة بالحسب الفغاندي الخالص التي تختلف بنسبها وروحها عن بقية القصائد الاخرى التي نظمها شعراء آخرون من فرق اسلامية اخرى، وهذا يثبت ما للقصائد الاماعيلية من مصطلحات والفاظ لا يفهمها ولا يدرك معانيها الا من عاش بكفها وشرب من منهلها وكان من الدعاة لهذه القنائد او من الشعراء الملمين امثال ابن هاني، والأمير تميم، والمؤيد في الدين، والاسكدراني، وابي حسيبة المري والعقيلي وغيرهم. هنالك اجنات عديدة مشوعة ترجي. بجنتها الآف تحفة التطويل تاركين ذلك مقدمة الديوان الذي اعتمدنا ان تقدمه بظهور الادباء، والان فلنسمع للأمير مزيد يقدم لنا بعض مقاطع من شعره.

طرب الفؤاد واما ذكرك
على ريق يد العراق اراك
ويزني شوقي وطربي الياسكي
اذ مت لي قتل الغرام فزني
يا منية القلب المكسبر وقتني
من ذا الذي اغنى واحرق مهجتي
هل راشد الدين الذي افكك ؟
(مصياف) يا دار الامانة والوفا
يا موطن الخلال اغوان الصفا
يا من الى اعنابهم قلبي هفسا
جودوا علي بظنكم فلكسفي
ما نلتني من حرقة وهيلك

وهذا مقطع من قصيدة تضم تعابير اماعيلية فلسفية :

يلتنا من الايام ما قد تريد
بسم امام اسعدتنا سعود
وعشنا فتاعشنا من الزل مشيدا
شراعه في كل عصر شهود
وعنا التي لا قصدا بوردنا
امام زمان لا ينجيب قصود
فان حشود الدين غيظا ونصه
ومن شخص بالنايد مات حشود
ومنها :

قدوتكم من ابن مزيد مدحة
يطيب لها عند اقتفاء قصيدة
ملك سلام الله ما لاح بارق
وما سبعت في يوم فهم رعود

وهذا مقطع من الغزل الرقيق :

جالا بدا ينجلي كالقمر
ونورا على جبل منقش
وشمسا تجلت الى البارفين
فتاعشنا باليدونهم الحفر
عنا وب الله الذي بدت
تبلغ عن امره ما امر

نوم حكايتهم خشب مستندة لا يقفون اذا ما باطل زهقا
وهذه ايات من قصيدة طويلة :

وكتاب مجرانا الرمانة (١) مصبة فلاحتنا الانوار والسر نادانا
وجيشا لمعيات تلوف بارضا ونغضي بها فرضا ونطلب لغفرانا
يا راشد الذين المظلم شانه انتناك زوارا فاقبل لساننا

ومن قصيدته الكبرى «رحلة الامير مزيد» قدم بعض المقاطع :
وهيات عيسى فنوى وعددتها ولا نبي نامي الفراق شدتها
وخاطبتها بالين لسا امرتها من الهه الفيحاء حين تركتها
وبعداد غلي لم اطاعها بلمس

ومنها :
ولا راسا شدة البير وللنا وكادت مطاينا تموت من الضنى
نزلنا قليلا واقتينا ربكنا ولا شي . شيتنا ويوقف عزتنا
الى حلب والبل ليس بمقتم
فبتنا بها عند الرجيس ومدنا بانامه بل فرجيل اعدا
وودعنا والبل يظلم سدنا ولما وسانا لارض شيدو (٢) سدنا
مسيل من الماصي شديد التهم

ومنها :
فرحت لآفتي لتذكر قد وعى الى دامي لحن ارواحنا دعا
فلا اوتحي [الاهو] ان كان اودنا وسرنا الى مصيف سياكاسي
الى البيت قوم من فريش وجرم

وهذه اياتا يرد بها على احد معارضيه :
الام والمحق قد نادى بتاديه وانت ما بين تكديب ونمويه
وقد رأيت طريق الحق واتخذة فقتت تطرق ابوابا من التيه
ظن عفت اقدى انتني وتعتي لما اذيت الى الالاميات تنفبه
فاستقتد بكني القل صاحب فهو الدليل الى متاج يارب

وهذه ايات من الفزل الرقيق :
برزت وقد جم الفراق وقد تنق الزراب ينشك الشل
فحكان منج جنها عات وكان موضع خطوها وجل
وحواحب تزعم حكايتها فوسدان بقرق منسجا الليل
ومنها :

فوصالها يد وجفاتها قرب وحكته وعددها مطل
ولقد تهرت اجسا بجرم زمنا ومسر مداته يملو
وطويت الياس على خطر طيا يتيب له وله الطفسل

واخيرا فهذا شاعر احاطيبي سوري لم يأت التاريخ على ذكره
قد ساء لفراء مجلة «الاديب» الزاهره . وللدليل على تاريخ هذه
الفرقة المجيدة ، وللكشف عن سير بعض اعلامها الذين لعبوا
دورا هاما في ميدان الفكر والحروب .

سورية - سلمية عارف تاسر

- (١) من قلاع الاسماعيليين على بعد ثمانية اميال من صيف
(٢) من قلاع الاسماعيليين ، ذكرها امرؤ القيس ، على ضفاف العاصي

ذوات غنيات قد ابدعت تلوح لنا من طرفها المستر
وهذان مقطعان من قصيدة تكاد تكون لسيح وحدها
وابتكرا جديدا في عالم الشعر فقد جعل الشاعر عدد مقاطع هذه
القصيدة ثمانية وعشرين مقطعا لعدد منازل القمر وكحروف
الابجدية ومنها :

حرف الصاد :
ضمت حمري بالذات والقب كان بالأس جني تولع بي
جنتهم دون خلق الله عمني [الصاد] ضمت واسامي ومكتسي
منهم وفيهم عسى الافراح تاتي

حرف الال :
ذقت نسي لمن اهوى وقتله ان كان جسي فخلا سوف اقله
او كان قلبي سلا ما عدت اقله [الال] ذرتي ومن اهوى فندني له
حيا يقرني عنوا ويديني

وهذه ايات من الفزل الرقيق باقي فيها الشاعر على ذكر
موطنه «الجامعين» كما ذكرنا :

طيف الحساء من يد الكرى طرفا ليلنا هاج بي الاحزان والنفقا
نجيت وهي الى جنبي تسانيني ما كان احسن هذا التيب لو صدقا
هل لي برجة عيش سكنت اعهد [الجامعين] وبق البين ما برقا
ايام الخطر لي روض الصبا سرما ولتي « بيتة » زعم ان رمقا
ومنها :

وكيف اخزع من رب الزمان ولي سكف يحيل بي الزمان قد علقنا
وصاحب الوقت ذخري عند آخرتي اذا نفوس رأت في موتها رهقا
فهو السيل سيل الله متعضا لقيده والرواة الوثقى لن وثقا
ومنها :

نجيت مدامة زانت بصائرهم عنه وما عرفوا القول الذي سيقا
ضلوا وهل يهدي من ضل طريق لا يهتدوا بدليل يعرف الطرعا

مجلات

دار الكتب العموية الشرفية

شارع باب المنارة رقم ١٥ تونس
نبيع باب سوقة عدد ١٢٢ تونس

المؤسسة الثقافية الاسلامية الكبرى
للنشر والاستيراد والتوزيع
في افريقيا كلها

لصاحبها محمد خوجة

الوكيل العام لدور النشر الشرفية الكبرى